الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع

الأبعاد السياسية لنهاية التاريخ عند فوكوياما

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة:

- سمية قوادر

تاريخ المناقشة: 2017/05/10

لجنة المناقشة:

- د/ لخضر حميدي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
- د/الدراجي زروخي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مشرفا ومقررا
- أ/ نسيبة مزواد	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله المنعم المتفضل والذي بشكره تدوم النعم، وبذكره تطمئن القلوب، الحمد لله رب العالمين على عونه وتوفيقه لي على إنجازي هذا العمل، أصلي وأسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين

وانطلاقا من العرفان بالجميل فإنني أتقدم بجزيل الشكر و التقدير و فائق الاحترام إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور "زروخي الدراجي" على تكرمه الإشراف على هذه الرسالة ، وعلى ما أحاطني به من اهتمام توجيه منذ أن بدأت في إعداد خطة الرسالة، فله مني كل الشكر والامتنان والتقدير وجزاء الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والعرفان للسادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الموقرين ، وكل أساتذتي الأفاضل في جامعة محمد بوضياف بالمسيلة قسم الفلسفة ، وكل طلبة تخصص قيم الفلسفة.

وإلى طاقم مكتبة البيان وعلى رأسهم الأخ "فرحات إسماعيل".

وفي الأخير نقول لكِ أيتها الجامعة شكرا لكِ لاحتضاننا طلبة ونأمل في أن نعود إليكِ إن شاء الله أساتذة وموظرين

سميحة

إهداء

إلى الذي رسخ في نفسي محبة العلم الذي يسمو به الإنسان ، الذي أحمل اسمه بكل افتخار

إلى نور حياتي و زهرة عمري، والدي الذي أطال الله في عمره وجعله تاجا على رأسي.

إلى التي لا يوجد معنى الحياة بدونها، رمز الحب و العطف و الحنان والدتي الحبيبة

جزاها الله

و أطال عمرها و أحسن خاتمتها.

إلى من لا أملك غيرهم و طالما كانوا لي سندا في الحياة إخوتي

"أحمد شريف ، سميحة، بشرى"

إلى صديقتي في المشوار الدراسي: "جهاد، حسينة، مريم، نبيلة"

إلى كل من يحب الله ورسوله ثم العلم والوطن

أهدي هذا العمل المتواضع

سميحة

مقدمة

في مشاهد تدفق الأحداث على مدى العقد الماضي أو نحو ذلك، فانه من الصعب تجنب الشعور بان شيئا أساسيا جدا، لم يحدث في تاريخ العالم وقد شهد العالم طوفان من المقالات في ذكرى انتهاء الحرب الباردة وإعلان عن ولادة جديدة لحقبة جديدة من الصراعات وتغير في السياسية العالمية، هذا ما أتاحه الوضع الدولي من ظروف اعتبارها السياسيون والمفكرين الأمريكان بمثابة الفرصة العالمية لصياغة النظام الدولي الجديد، الذي يتجسد بضمان التفوق والانفراد الأمريكي، بمقومات القوة والهيمنة العالمية وتزامن مع كل هذه الأحداث والاضطرابات السياسية العالمية، ظهرت أطروحة نهاية التاريخ على مسار لا رجعة فيه وان التاريخ هو الانتصار العالمي لديمقراطية الليبرالية الاقتصادية الأمر الذي يعني نهاية المجال السياسي والاقتصادي في تاريخ.

ففكرة نهاية التاريخ ليست فكرة أصيلة ووليدة النظام الأمريكي، بل هي كانت لها دعاة فاشتهر بها كل من هيغل وكارل ماركس، فهذا الأخير يعتقد أن اتجاه تطور التاريخي كان واحد هادف يحدد التفاعل بين القوى المادية وسيأتي نهايته في تحقيق الشيوعية وانتصارها، أما هيغل ينطلق من مفهوم التاريخ باعتباره سيرورة ديالكتيكية مع بداية للوصول إلى النهاية، حيث يعتبر أن تاريخ يتوج بشكل نهائي وعقلاني في انتصار مجتمع ودولة فاعلان نهاية التاريخ في 1806م من خلال الثورتين الفرنسية والأمريكية التي أوصلتنا نهاية التاريخ والتي تتجسد في الليبرالية الديمقراطية .

يعتبر موضوع نهاية التاريخ من مواضيع الساعة ومن القضايا الساخنة التي لا تزال تبحث لحد الآن ذلك لما لها من تداعيات لم تتوقف في عالم، ولا تزال تظهر واحدة تلوي الأخرى علي الصعيد الأحداث العالمية اليوم وخاصة العالم الغربي، إذا هي نظرية التي أصبحت اليوم محط اهتمام مختلف الاكاديمين والسياسيين والمنتظرين وحتى الخبراء الاستراتجيين في العالم، بين نهاية هذه النظرية وصمودها ولهذا فمثل هذه الدراسات ستمكننا من الكشف علي العلاقات السياسية بين الدول، وتحديد سياسة الخارجية للدول ونجاح هذه الأفكار سياسيا وإعلاميا.

ولهذا فان نظرية نهاية التاريخ ولدت في حقول الفلسفة ثم انتقلت إلى حقل السياسة مع فرانسيس فوكوياما، مستندا إلى مجموعة من المرتكزات الفكرية والثقافية والسياسية والإيديولوجية في سياقها المتشعب محاولة لتبرير واقع عالمي، صنع دولة مثالية تتمحور في الديمقراطية الليبرالية، أسئلة كثيرة تفرض ذاتها في هذا السياق، وأخرى قد تولد مع البحث، وبين هذه الأسئلة وتلك هناك إشكالية أساسية ننطلق منها، هذه

الإشكالية التي يمكن صياغتها على النحو التالي: **هل نظرية نهاية التاريخ نظرية في فلسفة التاريخ أم أنها نظرية سياسية؟**

و تحت هذه الإشكالية تندرج مجموعة من التساؤلات الرئيسية:

أ- ما هي أهم المنطلقات المرجعية لنهاية التاريخ؟

ب- وما هي المفاهيم والتصورات التي بنا عليها فوكوياما نظريته؟

ج- وما الهدف الأساسي من نظرية نهاية التاريخ؟

ومن أهم الدوافع الأساسية وراء اختيارنا لهذا الموضوع أسباب ذاتية: مما له أهمية كبيرة في العالم اليوم بحيث أن هذه الأطروحة الفت بضلالها على العالم بأسره وأثرت في العلاقات السياسية الدولية الأحداث والتحولات التي يشهدها العالم.

أسباب موضوعية: الأهمية التي تكتسي هذه النظرية تتعلق بمدي صدي الذي أثرته وتأثيرها المباشر على السياسة الخارجية للدول ومساندتها لنظام العالمي الجديد، أحادية القطبية الذي تحكمه الولايات المتحدة وصنع مفاهيم مستوحاة من النظرية للممارسة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية .

ووفق لطبيعة الموضوع رسمت خطة تنطلق من مقدمة وثلاثة فصول، ليرسوا البحث في الأخير عند الخاتمة بما هي دائما إجمال لأهم النتائج المتوصل أليها، الفصل الأول فقد تطرق لمختلف المفاهيم وتصورات التاريخ وعلاقة فلسفة التاريخ بفلسفة الحضارة، وفي مبحث الثاني فقد تناول مرجعيات الخطاب لمفهوم نهاية التاريخ قبل فوكوياما، فاستعنا بمختلف القراة لآلية التاريخ ونهايته وكان أهم تصورات، هي تصور كل من الفيلسوفين هيغل وكارل ماركس وبعدما تناولنا مفهوم نهاية التاريخ والمقصود بالتاريخ في نهاية التاريخ، كما هو التاريخ العام من حيث هو سرد للوقائع والأحداث المتعاقبة والمتفاعلة في زمن الماضي أم هوا مفهوم آخر ووصلنا إلى نتيجة أن مفهوم نهاية التاريخ المقصود به هو نهاية الايديلوجيا، أما الفصل الثاني الذي عنوناه بنهاية التاريخ عند فوكوياما أدرجنا أهم الفرضيات التي يصوغها فوكوياما في أطروحته، لتحديد مستقبل العالم من خلال الوصول إلي نهاية التاريخ، حيث حاولنا الإحاطة بوجهة نظر المفكر من خلال فرضيات وتحليلاها ومناقشتها وربطها بفلسفة التاريخ، حيث حددنا غائية التاريخ بين الايدولوجيا والسياسة، وعرضنا أهم النقاط التي تحدد ذلك ثم عرضنا نهاية التاريخ بين تناقضات الصراع والاعتراف وصولا إلى الإنسان الأخير الذي حدده لنا فوكوياما، أما الفصل الثالث والأخير هو عرض لنظرية نهاية التاريخ ذات الطبيعة السياسية فقد تم علي أساس عرض نظرية في الفصل الثاني والتفصيل فيها، وتحديد نظرية في سياقها التاريخي والانتقال من فلسفة

التاريخ إلي فلسفة السياسة أو التنظير السياسي إلي البعد الأخلاقي، وحاولنا مناقشة النظرية وعرضها بين مفهوم الهزيمة والانتصار واهم الأحدث التي جعلت من النظرية تحمل بذور فنائها وبعدها عرضنا أهم النقاط التي اعتبرها فوكوياما بمثابة خطر على نظرية نهاية التاريخ والنظام الليبرالي؛ الذي يتمثل في الخلافة الإسلامية إيران أهم منطقة يمكن أن تمثل هذا الخطر أما الخطر الثاني الصين التي أصبحت تمتلك نظام اقتصادي عالم المال يمكن أن يوثر في نظام الاقتصادي الليبرالي، كما يمكن أن يشكل خطر على الديمقراطية نفسها، وقد استعرضنا أهم الممارسات السياسية الأمريكية لنظرية نهاية التاريخ ثم بين وجهة نظر فوكوياما، من خلال تغير آراءه منذ كتابته نهاية التاريخ حتى صدور مختلف كتاباته وثم النقد الموجه من قبل المفكرين والباحثين لنهاية التاريخ وصولا إلى الخاتمة التي تشكل أهم النتائج المستخلصة حول الموضوع.

ولتحقيق هذا البحث عملت على استعمال كل من المنهج التحليلي، وذلك من أجل استقراء مفاهيم ومصطلحات الدراسية للعودة إلي جذور فلسفة التاريخ وتركيز علي مفهوم نهاية التاريخ عند بعض المفكرين والفلاسفة، وأبرز الجوانب التي يمكن لفوكوياما أن يتأثر بها من المفاهيم السابقة، لان تناوله لنهاية التاريخ لم يكن من العدم أو من ابتكاره، وتحليل الأفكار التي تتضمن الأطروحة ومحتواها الفكري واستخلاص الحقائق والنتائج المرجوة من الدراسة للوصول إلى هدف من أطروحة نهاية التاريخ.

تعد الدراسات السابقة المنطلق الرئيسي للباحث والدراسات المعتمدة لهذا الموضوع على اختلاف مستوياتها ضئيلة جدا نظرا إلى جدة الموضوع وحداثته:

- دراسة يحي سعيد قاعود تحت عنوان" أطروحات فوكوياما وهانتغتون والنظام العالمي الجديد، دراسة تحليلية مقارنة"، ركزت على تحليل أطروحتي فوكوياما وهانتغتون من خلال فرضيات هاتين الأطروحتين وفلسفتهما السياسية لمستقبل النظام العالمي الجديد.

وقد استندا البحث إلى جملة من المصادر أهمها كتب فرانسيس فوكوياما "نهاية التاريخ وخاتم البشر" "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" "أمريكا على مفترق الطرق".

أما فيما يخص الصعوبات التي واجهتني في بحثي المتواضع.

- مهما حاولنا الإلمام بموضوع تبقي مسائل أخرى لا تقل أهمية جديرة بالاهتمام حتى وقتنا هذا.

- نظرية نهاية التاريخ منذ صدورها حتى يومنا هذا مازالت محط اهتمام الباحثين والمفكرين واختلاف وجهات النظر بين المؤيدين والناقدين.

- مازالت التطورات والتفاعلات مستمرة مما يصعب التنبؤ بمسار النظرية أو الحكم عليها.

- تغيرات وجهة نظر فوكوياما وآراءه منذ ظهور نظريته، حتى اليوم مما يصعب علينا تحديد الأفكار الحقيقية بسبب التناقضات.

- كما وجدنا صعوبة في التعامل مع مؤلفات الأساسية لفوكوياما بإضافة إلى ندرة المراجع والمصادر الأجنبية التي تتناول بعض موضوعات الدراسة.

وفي ختام لا يسع ألا أن نستذكر قول العماد الأصفهاني أني رأيت انه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو كان غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل هذا من أعظم العبر وهذا دليل على استيلاء النقض على جملة البشر فلهذا فأنني لا ادعي في هذا البحث بالإلمام بجميع جوانبه إذ لا يخلو من النقائص أخيرا بعد أن تقدمنا باليسر في هذا الموضوع البسيط أملين أن ينال القبول والاستحسان.

الفصل الأول

حول مفهوم نهاية التاريخ

المبحث الأوّل: مفهوم نهاية التاريخ

المبحث الثاني: المرجعيات وتصورات لنهاية التاريخ قبل فوكوياما

المبحث الثالث: نهاية التاريخ بين البداية والنهاية

الفصل الأول: حول مفهوم نهاية التاريخ

حاولنا هنا تسليط الضوء على مختلف مفاهيم وتصورات نهاية التاريخ، وتحديد جملة من المفاهيم الـــتي ستسهل لنا الدخول في موضوع بحثنا هذا، ولكي نأخذ رؤية نستطيع أن نقول عليها فلسفية في تحديدنا لمفهوم نهاية التاريخ من جانبه النظري والعملي، وقد وضعنا تحديدا لمفهوم التاريخ، مرورا إلى مفهوم النهاية والـــتي ستأخذنا في فسحة بين المفاهيم ورؤية لنهاية التاريخ بين التتابع التاريخي والحضاري، والفلسفي وتحول مفهوم نهاية التاريخ من رؤية فكرية إلى رؤية فلسفية، ذات طابع سياسي وهذا ما يتضح في فصلنا هذا.

المبحث الأوّل: مفهوم نهاية التاريخ

التاريخ هو المسار الفكري والسياسي والاقتصادي... الخ، التي تمر به حضارة معينة، لذا يجب علينا- لتوضيح مفهوم نهاية التاريخ وتفكيكها- لابد لنا من تسلسل في التعريفات حتّى الوصول إلى ما نريده في بحثنا.

1- مفهوم التاريخ:

"التاريخ في اللّغة تعريف الوقت وتاريخ الشيء وقته وغايته والتاريخ أيضا علم يبحث في الوقـــائع والحوادث الماضية والحقيقة، قال ابن خلدون أنّه خبر عن الاجتماع الإنساني الّذي هو عمران العالم".[1]

"كما أن التاريخ بالمفهوم الاصطلاحي هو جملة الأحوال والحوادث التي يمر بها كائن ما وتصـــدق على الفرد والمجتمع كما تصدق على الظواهر الإنسانية، وعند هيجل التاريخ جزء من الفلسفة لأنّه لـــيس مجرد دراسة وصفية بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب".[2]

ومن خلال التعريفات السابقة نجد أن التاريخ يحمل مدلولات مختلفة، ويتداخل في الكثير من العلـــوم الأخرى سواء كان في الجانب الاقتصادي، أو الاجتماعي أو السياسي، فهناك علاقة واضحة بين التاريخ وكافة العلوم عبر مختلف العصور، وإذا ألقيانا الضوء على العلاقة الموجودة بين التاريخ والسياسة فهي علاقة وثيقة فلا وجود للسياسة من دون تاريخ ولا يمكن أن نجد تاريخ، لا يحتوي على طابع سياسي أو لا يسرد أحداث دولة أو حكام في تتبعه الزمني.

وهذه العلاقة هي التي ستوضح لنا فكرة الارتباط بين ما هو تاريخ وما هو سياسي من جهة أخرى.

---

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، ص227.

(2) إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص36.

"يفترض التاريخ استمرارا واتصالا في التطور بحيث يكون الماضي داخلا في تكوين الحاضر والمستقبل، وينقسم التاريخ إلى تاريخ علم العالم أو تاريخ خاص ببلد أو أمة أو منطقة أو فترة من فترات الزّمان، ولكن أيا كان الأمر فالتاريخ ينظر إليه أساسا على أنّه يؤلف وحدة".[1]

إنّ الغاية من التاريخ انطلاقا من مفهوم التاريخ الّذي سبق ذكره في فهم الأحداث في حياة الإنسانية والفكر الإنساني ومدى تفاعلها أكثر منه معرفتنا للأحداث، ولذلك وجب علينا مراعاة العوامل التي تساهم في صنع الوحدة في الحدث التاريخي من خلال "السياسة، الاقتصاد، الثقافة" وفي تحقيق تقدم الإنسان واستعمال التاريخ في خدمة الفكر الإنساني، وفهم الواقع الّذي يعيه الإنسان من خلال تتابع التاريخ.

أما في الشق الثاني لتفكيكنا لمصطلح "نهاية التاريخ" سنعرض المعنى البسيط لمفهوم النهاية.

2- النهاية:

"نهاية الشيء غائية وأخرى تقول نهاية الظاهرة آخرها في الزّمان ونهاية الجسم حده في المكان ومنه قولنا نهاية الكتاب ونهاية الحب ونهاية السنة، قال ابن سينا: "النهاية ما به يصير الشيء ذو الكمية إلى حيث لا يوجد ورآه مراد الشيء فيه" والنهاية مقابلة للبداية".[2]

وهنا يتضح أن المعنى الّذي ترمي إليه النهاية غاية كلّ شيء وآخره إلى أقصى ما يمكن أن يبلغه الشيء سواء من هدف أو علة أو مسار أي وصول الشيء إلى حده، ولذلك سنجد أن فكرة النهاية في فلسفة التاريخ تتخذ نفس المعنى لكن تحمل في داخلها معاني أخرى تشكل لنا مفهوم جديد للنهاية.

والنهاية بشكلها الواسع تعني وصول الشيء إلى زواله أو إلى آخره فلا يوجد شيء آخر بعد النهاية.

أما إذا اتخذت النهاية منحى فلسفي فمن الضروري أن التنظير الفلسفي سيتوجه إلى الفكر السياسة ليؤكد مدى ارتباط الجانب التاريخي بالفلسفي والذي سيؤدي حتما للوصول إلى الفكر السياسي يحمل نهاية الإيديولوجيا- نهاية الإنسان- نهاية العالم وهذه النهايات كلها طرحت من خلال المفكرين الغربيين تحت شعار واحد هو الوصول إلى منظومة عالمية سياسية واقتصادية واحدة.

تعتبر فلسفة التاريخ وفلسفة الحضارة ضمن دائرة نهاية التاريخ، حيث يمثل كلاهما نقطة انطلاقة، لذلك وجب علينا وضع مقاربة بين فلسفة التاريخ وفلسفة الحضارة، لكي نوضح مفهوم نهاية التاريخ عن بداية الإنسان.

---

[1] عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج2، اط1، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص157.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص509.

3- مفهوم فلسفة التاريخ:

"يعتبر مصطلح فلسفة التاريخ مصطلحا حديثا ظهر في القرن الثامن عشر مع فيكو وفولتير، وإن كانت مباحث فلسفة التاريخ ترجع إلى أقدم العصور في مؤلفاته كلّ من القديس أوغسطين وابن خلدون وميكافيلي وبوسوريه وجون لوك ثمّ بحث فيها كلّ من تورغووهر، هيغل، ماركس، وشبنجلر وتومبي وغيرهم من هؤلاء الفلاسفة يبحثون عن القوانين العامة لتطوير الأمم، فمنهم من يرجع التطور التاريخي إلى العامل الديني ومنهم من يرجعه إلى العظماء، ومنهم من يرجعه إلى العوامل الاقتصادية، ومهما اختلفت العوامل فإنّ كلّ نظرية في التاريخ ترتبط بنظرية في الزّمان فلا تاريخ إلا بالزّمان".[1]

فإن أردنا أن نحدد الغاية الأساسية التي ترمي إليها فلسفة التاريخ، هي البحث في العوامل الأساسية المؤثرة في سير الأحداث التاريخية وتطورها، بحيث نجد الفلاسفة يلقون الضوء على الأحداث التاريخية بنظرة فلسفية تحدد أبعاد هذه الوقائع.

4- فلسفة الحضارة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة **"حضر"** أن الحضارة تعني:**" الإقامة في الحضر، أي في المدن وهي بخلاف البداوة والتي تعني الإقامة المتنقلة في البوادي والحضر والحاضرة خلاف البادية وهي المدن والقرى، سميَّت كذلك لأنّ أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار".**[2]

فالحضارة عكس البداوة التي تمثل التخلف والتوحش والهمجية بتعبير ابن خلدون، فالحضارة تعني المراحل التي تكون فيها الحياة سامية، وتبلغ هذه المرحلة التطور الإنساني والرقي والازدهار، في المجال العلمي الثقافي، الاجتماعي، السياسي.

"الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي وتتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية والنظم السياسية والتقاليد الخلفية ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق". [3]

الحضارة تعني هنا حسب ويل ديورانت أنّها نظام اجتماعي يساهم في المساعدة في تطور وتحضر الدولة وذلك عن طريق النظام الاقتصادي والسياسي والثقافي، وعلى هذا الأساس تقوم الحضارة لتعكس نظام اجتماعي متطور وفهم الحياة فهمنا صحيحا.

---

(1) فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، 2000، ص27.

(2) ابن منظور: لسان العرب، بدون مجلد 3، دار صادر، بيروت، ص907

(3) ويل ديورانت: قصة الفلسفة، ترجمة زكي نجيب محمود، تقديم محي الدين جابر، ج1، مج1، القاهرة، 1965، ص 03.

إنّ فلسفة الحضارة غير فلسفة التاريخ لأنّها لا تقتصر على عرض الواقع وإنّما تسعى إلى تعليل وتفسير هذه الوقائع، ففلسفة الحضارة تبين الأسباب والعوامل الحقيقية التي كانت مسؤولة عن تطورها من جهة ونهايتها من جهة أخرى، وهدفنا محاولة الوصول إلى أحكام عامة عن الحضارة يمكن تعميمها على الحضارات لتفسير مسيرة الحضارات ووضع قوانين كلية عامة تكون شاملة، لكل الحضارات في كلّ زمان ومكان، كما يسعى العلم إلى تعميم الجزء على الكل لذلك يمكننا اعتبار فلسفة الحضارة مرتبطة بالواقع أكثر من فلسفة التاريخ.

أ- تحديد العلاقة بين فلسفة التاريخ وفلسفة الحضارة:

بعد ضبط كلّ من مفهوم فلسفة التاريخ وفلسفة الحضارة واجب علينا تحديد العلاقة بينهما أو أيهما يضع الآخر.

"إنّ الحضارة بكل بساطة، معناها بذل المجهود بوصفنا كائنات إنسانية من أجل تكميل النوع الإنساني وتحقيق التقدم من أي نوع كان حتّى في الأحوال الإنسانية وأحوال العالم الواقعي، وهذا الموقف العقلي يتضمن استعدادا مزدوجا فيجب، أوّلا أن نكون متأهبين للعمل إيجابيا في عالم الحياة ويجب ثانيا أن نكون أخلاقيين".[1]

هنا الحضارة نجدها تتخذ طريقين: الطريق الأوّل هو أن يسعى الإنسان إلى تطوير وتطويق جميع ملكاته للوصول إلى حياة تتسم بالسهولة والتطور والسرعة لتحقيق حضارة كاملة، أما الطريق الثاني فهو يتجلى في الطابع الأخلاقي القيمي كما قال **"أحمد شوقي"**:

إنّما الأمم الأخلاق ما بقيت فأن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فهناك تتحدد لنا الأخلاق مستقبل الإنسان وتحقيقه لوعيه بمدى ضرورة الطابع القيمي في الحضارة.

"كما أن الحضارة تنشأ حينما يستلهم النّاس عزما واضحة صادقا على بلوغ التقدم ويكرسون أنفسهم تبعا لذلك لخدمة الحياة وخدمة العالم".[2]

وارتقاء الحضارة ووصولها إلى أعلى درجات التطور، يكون عن طريق الوعي بوجوب صنع مستقبل أحسن له ولغيره.

---

[1] ألبرت إشفيتسر: فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بداوي، مراجعة زكي نجيب محمود، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963، ص05.

[2] المرجع نفسه، ص05.

"وقد قال بعض فلاسفة التاريخ أن التاريخ هو سياسة الماضي، وعلى ضوء هذا القول يكون الحاضر جزء من اختصاص المؤرخ لأنّه نتيجة وثمرة السياسات الماضية".[1]

و هنا نجد أن المؤرخ له دور فعال في دراسة الماضي لإسقاطها على الحاضر وتنبؤ المستقبل من خلال دراسة الوقائع الماضية في الحضارات السابقة، بالاستفادة منها في جميع جوانب الحياة الراهنة.

"ونشوء هذه اللّغة البدائية وتفاهم البشر بها يعد مستوى حضاري، لم يصل إليه الإنسان إلا بعد عصور متطاولة نما فيه ذهنه وينقله إلى غيره عن طريق الأصوات والكلمات، وهذا يتضمن مجهودا بذله الإنسان حتّى يبتكر هذه الأصوات المعبرة عن المعاني والنطق بها، أي أنّنا هنا أمام مستوى حضاري وهذا المستوى الحضاري هو الّذي دفع الإنسان إلى اتخاذ خطوة على طريق تاريخية، أي أنّنا نجد أن الحضارة هنا سابقة على التاريخ بل هي أساس التحرك التاريخي نفسه".[2]

فنجد أن الإنسان البدائي ابتكر له إشارات وأصوات معينة للتواصل فيما بينهم، فحينما صنع الإنسان حضارة حتّى لو كانت بدائية فهي التي أعطى للتاريخ حقا في وجوده، أي أنّه لولا وجود حضارة معينة لها ميزاتها ومعتقداتها وأنظمتها المختلفة لما وجد التاريخ ما يدونه وهنا علاقة التاريخ بالحضارة في علاقات تكاملية كلها يخدم الآخر.

كما نجد أن فلسفة التاريخ تبحث عن مستقبل واستشراف للإنسان، أي ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان ومن أهدافها هي تحقيق الوعي للإنسان بنفسه في حركة التاريخ وتحديد هويته المستقبلية التي ترتكز على الماضي، والسؤال الّذي يطرح هنا: ما هو مستقبل هذا الإنسان الّذي نريد أن نصل إليه من خلال تحديد الوعي والقيم؟ فنجد أنفسنا إما الانتقال إلى التفكير الحضاري، معناه أنّ فلسفة التاريخ هي جسر للوصول إلى الحضارة والحضارة تتألف من الوعي والقيم والعلم، وكما ذكرنا سابقا فإنّ الحضارة تصنع التاريخ والتاريخ يوصل إلى الحضارة. **"والحضارة في نظر هذا للتغيير تعني اكتساب القدرة على صنع وسائل الحياة وتطويرها وجعلها في خدمة الإنسان بأيسر الطرق الممكنة، للتخفيف من معاناة الإنسان وترقية الحياة على مستوى جميع مجالات الحياة، وبعد هذا تتحول المجتمعات الحضارية إلى مجتمعات مدنية بحيث تستطيع استخدام آليات الحياة التي أفرزتها الحضارة وما يهمنا هنا أن الحضارة والمدينة هما اللتان تصنعان فلسفة التاريخ وحركته".**[3]

---

(1) حسين مؤنس: الحضارة- دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة- سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص63.

(2) المرجع نفسه، ص94.

(3) الدراجي زروخي: نحو فلسفة التاريخ، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، 2013، ص120.

وهنا نستنتج أنّه عندما تتوقف الحركة الحضارية، تتوقف الحركة التاريخية مسارها عبر التاريخ، نستطيع أن نقول أن العلاقة بينهما علاقة أخذ ورد كلاهما يكمل الآخر، أما عن دخولهما في مجال الفلسفة أصبح كلّ منهما لديه معالم مختلفة ولكنها متداخلة فيما بينها.

المبحث الثاني: المرجعيات وتصورات لنهاية التاريخ قبل فوكوياما

في هذا المبحث نتناول مفهوم نهاية التاريخ حسب التتبع الزمني، ولهذا سنعرضها بدأ من الفلسفة اليونانية وصولا إلى العصر الحديث والمعاصر.

1- نظرة الفكر اليوناني لنهاية التاريخ:

يمكن أن نأخذ بعين الاعتبار الفلسفة اليونانية كتجسيد لفكر نهاية التاريخ، لكن ليس كما هو عليه اليوم، فمثلا عند كلّ من أفلاطون وأرسطو نجدهم تحدثوا عن الجانب السياسي في فكرهم الفلسفي وأعطوا أبعادا ومبادئ وأساسيات للوصول إلى الدولة المثالية من خلال رؤيتهم الخاصة، فأفلاطون بنظريته المثالية التي تحدد بداية الإنسان ونهاية التاريخ الّذي يكون بارتقاء الروح الإنسانية من عالم الواقع إلى عالم المثل، حيث جمع بين النزعة الروحية والنزعة العقلية وذلك عن طريق إيمانه بالفلسفة التي تستطيع أن تخلص النفس وتدخلها النعيم، وحتّى وإن كانت فلسفة أفلاطون المثالية كما هو متداول لا يخفي أن أفلاطون استعمل العقل في تحقيقه لنظريته السياسية في كتابه "الجمهورية" وذلك عبر الرسالة التي أراد أن يوصلها والتي تحتوي داخلها عن تعاليم أخلاقية، صنع مواطن صالح، الحاكم "فيلسوف" ولذلك يجدر بنا أن نتأمل في فكره إبان الأزمات التي يتخبط فيها العالم اليوم.

"إنّ كلّ إدراك كلي له حقيقة خارجية هو صورة لها وهذه الحقائق الخارجية هي ما يسميها أفلاطون بعالم المثل[1]**"** وهذا يوضح ما سبق ذكره.

أما بالنسبة لأرسطو في كتابه **"السياسة"** تنازل فيه نقده للنظام الاسبرطي حيث يبين أوجه ضعف النظام ورأى أنّه سينتهي ويسقط ذلك عن طريق الانقلاب للبحث عن نظام سياسي أو سيادة دولة فضلى.

"بحثان يدوران حول نظام الكذيمن السياسي ونظام كريني وحول بقية النظم على التقريب أحدهما ينظر في ما من جيد أو سيء بالنسبة إلى النظام الأفضل أو الآخر ينظر فيما يناقض أساس وشكل النظام الّذي يتمشى القوم عليه"[2] وهنا ترتبط النهاية عند أرسطو بنهاية النظم السياسية الفاسدة.

---

[1] أمين أمين زكي: قصّة الفلسفة اليونانية، ط2، القاهرة، مطبعة دار الكتاب المصرية، 1935، ص105.

[2] أرسطو: السياسات نقل الأب أوغسطين 1957، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت، ص86.

وأكد فوكوياما في كتابه **"نهاية التاريخ وخاتم البشر"** بالنسبة للفلسفة اليونانية **"فبالرغم من أن التقاليد الفلسفية والتاريخية بدأت مع الإغريق فإنّ الكتاب من الإغريق القدماء لم ينهضوا بمثل هذه المهمة فقط، لقد تحدث أفلاطون في جمهوريته عن دور طبيعة معينة للأنظمة، بينما ناقش أرسطو في كتابه السياسة أسباب الثورة وكيفية حلول نوع من الأنظمة محل نوع آخر".**[1]

وهنا يوضح لنا فوكوياما أن نهاية التاريخ عند الحضارة اليونانية لم تحظى بأفق واسعة عندهم.

2- عند المسلمين:

قال تعالى في كتابها لكريم: **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.**[2]

تشير هذه الآية الكريمة إلى وجود بداية للإنسان كما أنّها ستكون نهايته مثل بدايته وهنا يؤكد الله تعالى على وجود نهاية للعالم أو التاريخ الإنساني بقوله (وعدا علينا)، وهنا يصبح الإنسان كالحضارة يمر بمرحلة البداية وهي الضعف وصولا إلى القوة وانتهاء بالضعف للوصول إلى النهاية، وهنا ستظهر لنا معادلة الإنسان والعلم وفقا لمفهوم النهاية.

وهنا حاولت التوضيح بآية بسيطة وسهلة التفسير كما هو معلوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فيها الكثير من الآيات والأحاديث التي تدل على نهاية العالم أو التاريخ.

3- نهاية التاريخ عند ابن خلدون:

"أعلم أنّه لما كانت حقيقة التأريخ أنّه خبر عن الاجتماع الإنساني الّذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتآنس والعصبيات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتجه البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال".[3]

يعد ابن خلدون من واضعي نظرية التعاقب في التاريخ والتي تتمثل في التعاقب الحضاري "الدوري للدول في تاريخ الفكر الإنساني" حيث أعطاها بعدين: الأوّل بعد اجتماعي تاريخي والثاني بعد فلسفي، ولأنّ ابن خلدون قام بوضع مقابلة بين الإنسان والمجتمع بحيث أنّ كلاً منهما يمر بعمر محدد وعبر عدة مراحل:

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البر، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط1، 1993، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص65.

(2) سورة الأنبياء: الآية 104.

(3) ابن خلدون: المقدمة، (د.ط)، 2002، دار الفكر، بيروت، ص46.

الإنسان = يولد ⟵ ينمو ⟵ يموت "الشيخوخة"

الحضارة = بداوة ⟵ ازدهار ⟵ سقوط "ترف"

وهنا نجد أن ابن خلدون يقارب مفهوم نهاية التاريخ وبالتطور الحضاري من بدأ ظهورها حتّى سقوطها.

- **الجيل الأوّل:** هو الجيل الّذي ينشأ على البداوة والخشونة وهذا الجيل يسلك سلوكيات طبيعية حيوانية البعيدة كلّ البعد عن السلوك الإنساني الحضاري.

- **الجيل الثاني:** جيل الحضارة، إذ يتخلص هذا الجيل من العصبية التي كانت صفة الجيل الأوّل ويتخلى عن حياة الخشونة و (الترف) إلى الاستقامة وضبط السلوك وتنظيم العلاقات بين الأفراد فيكون هذا الجيل أساسا لقيام مجتمع موحد يحكمه العقل.

- **الجيل الثالث:** يتخلص من كلّ بقايا الجيل الأوّل ويتجاهل ما حققه الجيل الثاني من إنجازات حضارية ويمضي إلى الترف ولا يحافظ على الدولة.[1]

فهذه هي الدولة الحضارية عند ابن خلدون، فسقوط الدولة يعطي المجال لظهور أخرى على نفس الأطوار والمراحل، وهكذا تستمر الحضارات ولهذا يمكننا أن نقول أنّ الحضارة تحمل في داخلها بذور فنائها عند ابن خلدون، ونهاية تاريخ كلّ حضارة يكون بوصولها إلى آخر مرحلة في الدورة الحضارية.

4- هيغل وكارل ماركس: قراءة لنهاية التاريخ

وكضرورة منهجية ارتأينا في بحثنا هذا أن نستعرض مختلف الرؤى الفكرية والفلسفية التي سبقت "فوكوياما" في تفسيره للتاريخ وآلياته، حتّى يسهل لنا التفريق بين أوجه التجانس والتقابل والاختلاف بين التجليات قبل فوكوياما، هل استند فوكوياما إلى منطلقات قاعدية ساعدته في بناء نظريته؟ ولذلك أخذنا كلّ من هيغل وكارل ماركس في تفسير التاريخ العالمي، حيث الأوّل يحمل النزعة المثالية الروحية والثاني يمثل النزعة المادية، فكيف يفسر كلٌ منهما التاريخ؟

أ- هيغل وفلسفة التاريخ:

لم تتميز حياة جورج ولهلم فريدريك هيجل **(1770-1831)** بأحداث بارزة، فقد كان في شبابه ميالا للنزعة الصوفية، وبعد انتهاء دراسته عمل في تعليم الفلسفة كمعلم خاص حتّى مماته، كان هيغل في شبابه يزدري دولته بروسيا بسبب خضوعها لهيمنة الأمراء الإقطاعيين، ويعجب بنابليون إلى حد أنّه ابتهج بالنصر

[1] الدراجي زروخي: نحو فلسفة التاريخ، ص138- 139.

الّذي حققه على بروسيا ولكنه أصبح في أواخر حياته وطنيا مواليا للدولة البروسية بل وأحد أصحاب المبادرات الجادة لتقوية ورفع شأنها.[1]

لقد أقام هيغل منطقه على ما عرف بصراع المتناقضات، فكل قضية في الكون تعد إثباتا، وتثير نفيها في الوقت نفسه، ويأتلف للإثبات والنفي في إثبات جديد، فالمنهج المتناقض للديالكتيك والعدل الّذي يحكم العالم يتضمن ثلاث مراحل، تدعى الأطروحة والطباق والتركيب.[2]

تقوم فلسفة التاريخ عند المؤرخ والفيلسوف الألماني جورج فريدريك هيغل على فكر الجدل**"الديالكتيك"***حيث اعتبر أن كلّ من الفكر والتاريخ الإنساني يتطور من قضية ونقيضها، إلى قضية مركبة ومن النقيضين والمركب في داخله يحمل نقيض وتستمر عملية التوليد وهكذا.

1- القضية ⟵ 2- نقيضها

3- المركب

تقوم كلّ الأفكار الفلسفية الهيغيلية على هندسة ثلاثية الجدل مطلقية النتيجة روضة فكرية المنطلق بما في الفكر السياسي الميغلي إذا يجعلنا قسما من الأقسام الفرعية داخل الفلسفة الروح- الفكر والروح والفكر عند هيغل ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

"الروح الذاتي: الذات الانساني، الروح الموضوعي، العالم الخارجي ويقصد به التنظيمات الاجتماعية الروح المطلقية وهي مركب من القسمين السابقين".[3]

إنّ الفكر عند هيغل يعبر عن فلسفته الجدلية والتي تقوم على أساس التفاعل بين الروح الذاتية والروح الموضوعية والمركب بينهما، وهنا يتجلى التفاعل بين الفكرة ونقيضها على نحو يدفعها إلى تطور الفكر.

"ويذكر هيغل أننا يمكن أن ننظر إلى فلسفة التاريخ بمنظورين أساسيين هما: المنظور الأوّل يجعلها دراسة لمناهج البحث أي الطرق التي يمكن أن يكتب بها التاريخ، وكيفية التحقق من صحة الوقائع التاريخية والكف عن مدى صدق الوقائع ومناقشة الفكرة الموضوعية في التاريخ، وأما المنظور الثاني فهو النشاط

---

(1) عبد الرضا حسين الطمان: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ط1، 2005، ابن نديم للنشر والتوزيع، ص495.

(2) نعمان عبد الرزاق السامرائي: نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما، مجلة الفيصل، العدد 243، السعودية، 1969، 108.

* الديالكتيك: وتعني Dialoguesto كلمة مشتقة من لفظة يونانية Dialectic الديالكتيك، كما هو معروف إلتقاء النّاس للمحاورة وظهرت معالمه في الفلسفة اليونانية القديمة عند هير أقليدس لكن الديالكتيك يأخذ مفهوم آخر عند هيغل حيث حوله إلى طريقة لتفسير الواقع.

(3) علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية، كشف لما هو كائن والخوض لما ينبغي معا، ط1، منشورات الصفصاف، 2015، ص166-167.

التركيبي وفيه لا يدرس الفيلسوف مناهج البحث في التاريخ وإنّما يقدم وجهة نظر في مسار التاريخ ككل".[1]

وهنا أعطى هيغل لفلسفة التاريخ قسمين: الأوّل يهتم بتتابع الوقائع التاريخية وتحقق منها والبحث في الفترات زمنية ومكانية محددة، والتأكد من صحة الأحداث، أما القسم الثاني فيتناول التاريخ من منظور فلسفي حيث أخص بذكر الفيلسوف وأن الدراسة الفلسفية للتاريخ لا تعني دراسة التاريخ من خلال الفكر لأنّ التاريخ والفكر يمثلان مسار وتطور العالم.

"الجدل عند هيغل ليس حركية إليه بل حركية حيوية تنبع من الواقع نفسه والتصورات فيه ليست هي التصورات المنطقية القبلية الفارغة في المثالية الألمانية التقليدية بل هي لحظات وجود يتحدد فيها الزّمان والمكان".[2]

"التاريخ هو بصفة عامة تطور الروح في الزّمان، كما أن الطبيعة هي تطور الفكر في المكان".[3]

إنّ التاريخ عند هيغل يرتبط بتطور الروح عبر مبدأين أساسيين: هما الزّمان والمكان في ظل الجدلية.

إنّ التاريخ عند هيغل يأخذ مسارا واحدا للوصول إلى نهايته في قوله: **"إنّ الموضوع الحقيقي للتاريخ هو الكلي لا الفرد ومضمونه الحقيقي هو الوعي بالحرية لا مصالح الفرد وحاجاته وأفعاله وليس التاريخ العالم إلا تقدم الوعي بالحرية".**[4]

إنّ القانون الكلي للتاريخ ليس مجرد تقدم للحرية بل تقدم في الوعي الذاتي للحرية عند هيغل.

"أما الموضوع الحقيقي للتاريخ فهو ما يسميه هيغل بالروح العالمية Westglist وحقيقة هذه الروح تكمن في تلك الأفعال والاتجاهات والجهود والنظم التي تتجسد فيها مصلحة الحرية والعقل".[5]

"فالروح ومجرى تطورها هو الموضوع الجوهري في فلسفة التاريخ ويمكن فهم طبيعة الروح بمواجهته بنقيضه وهو المادة، فماهية المادة الجاذبية وماهية الروح الحرية، والمادة خارج ذاتها بينما مركز الروح في ذاته".[6]

---

(1) رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ، (د.ط)، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000، ص154.

(2) حسين حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، ط4، بيروت، الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1990، ص188.

(3) هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ- العقل في التاريخ، ترجمة عبد الفتاح إمام، ج2، لبنان، ط2، ص1981.

(4) هربرت ماركيوز: العقل والثورة، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، (د.ط)، الهيئة المعربة العامة للتأليف والنشر، 1970، ص228.

(5) المرجع نفسه، ص232.

(6) برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنطي، 2002، المصرية العامة للكتاب، 1977، ص360.

"وروح العالم هذا هو المحكمة الأخيرة والقاضي النهائي بين الأمم، فليس ثمة دولة أو محكمة عالمية تصدر أحكامها على الشعوب وليس من الممكن قيامها والحكم على الدولة إنّما يوجد في المعبر الّذي ينتظرها في مسار تاريخ العالم".[1]

التاريخ عند هيغل هو سلسلة تطور الحرية التي هي أصل قيام كلّ دولة وهدف كلّ فرد في الدولة حيث ينتقل الشعور بالحرية للفرد حتّى يصل لحرية الدولة، حيث تبدأ الحرية في ذاتها إلى أن تصل لذاتها في الدولة وهي نظام سياسي يحقق لنا فعل الحرية، ومنه تتطور الدول إلى أن تصل إلى الدولة **"البروسية"** عند هيغل، في حين أن الجدل الّذي قدمه هيغل جدلي واقعي يقترب إلى فكرة الصراع للوصول إلى الحرية أو إلى الدولة المثالية.

"إنّ تاريخ العالم يتجه من الشرق إلى الغرب لأنّ أوربا هي نهاية التاريخ على نحو مطلق، كما أن آسيا بداية فتاريخ العالم له شرق حكمة الشرق هنا هي في ذاتها حد نسبي تماما، إذ على الرغم من أن الأرض تشكل كرة فإنّ ما أنجزه التاريخ لا يكل دائرة حولها".[2]

كما هو واضح عند هيغل أنّه يرى أن أوربا أو العالم الغربي هو الّذي يشكل نهاية التاريخ من إنجازات وسيادة وحكم، وهذا الحكم كان مطلقا لاعتبارات نستطيع أن نقول أنّها إيديولوجية لهذه الفكرة عند هيغل.

"ويظهر العالم الجرماني عند هذه اللحظة في لحظات التطور بوصفه المرحلة الرابعة في تاريخ العالم وإذا ما قارنا بين مرحلة وبين مراحل الحياة البرية لوجدنا أنّها تقابل مرحلة الشيخوخة، وإذا كانت الشيخوخة في الطبيعة تعني الضعف والهرم فإنّ الشيخوخة تعني نضجها وقوتها الكاملة التي تعود فيها إلى الوحدة مع نفسها".[3]

وفي تفسيره لمسار التاريخ اعتبر أن آسيا هي بداية التاريخ وأروبا هي نهايته، واعتبر أن مرحلة الشيخوخة هي آخر مراحل العالم والذي يمثلها العالم الجرماني الّذي يكتمل عنده الوعي بالحرية، وقد ذكر هيغل في **"محاضرات في فلسفة التاريخ"** نقط نستطيع أن ننطلق منها في فكرة لتقريب نهاية التاريخ كما عليها اليوم.

---

(1) ولتر ترس ستيس: فلسفة هيغل، مشيل متباس، هيغل والديموقراطية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الثاني، مكتبة مدبولي، 1996 ص590.

(2) هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ص188.

(3) المرجع نفسه، ص194.

"أمريكا هي إذن هي أرض المستقبل فهاهنا سوف، يتكشف في العصور القادمة عنصر هام من عناصر تاريخ العالم".[1]

"وهنا نلاحظ أن جل الأفكار الغربية في تباعدها الزمني تنظير إلى فكرة المركزية وسيادة العالم الأمريكي.

وفي الأخير يمكن القول أن فلسفة التاريخ عند هيغل تنبع من فلسفته المعروفة باسم المثالية المطلقة التي يقول فيها الحقيقي عقلاني، الّذي يمكن معرفته عن طريق الصراع الجدلي بين الأضداد وفكرة المثالية المطلقة".[2]

ب- ماركس والمادية التاريخية:

إنّ الحديث عن كارل ماركس يأخذ منحيين: الأوّل المنهج الجدلي الديالكتيك الّذي أخذه عن هيغل والمذهب المادي عن فيور باخ، ولكنه نزع المثالية الهيغيلية عن الجدل لأنّه اعتبر أن جدل هيغل وقفا على رأسه بدلا من قدميه، وذلك سبب النزعة المثالية ومنه حاول ماركس المزج بين الجدل والمادية وطبقها على الظواهر الإنسانية والتاريخية والطبيعية معا.

"أخذ ماركس عن هيغل الطريقة الجدلية فجعل من التناقضات داخل المجتمع المحرك الأساسي للتاريخ أي أن القوى المنتجة فيه في تناقض مع علاقات الإنتاج فيؤدي ذلك إلى صراع الطبقات أي صراع بين الطبقات المهيمنة المالكة لوسائل الإنتاج والطبقات المهيمن عليها والتي تملك قوة عملها فقط، فتاريخ المجتمع ما هو في نهاية الأمر إلا تاريخ صراع الطبقات".[3]

هنا يحدد لنا ماركس المحرك للتاريخ والذي يتمثل بين القوى التي تمتلك وسائل الإنتاج والطبقة العاملة التي لا تمتلك أي قوة سوى العمل، وهذا الصراع هو الّذي يحدد لنا مسار التاريخ، وهنا يجب أن نحدد ماذا نعني بالمادية التي مزجها كارل ماركس من الجدلية الهيغيلية التي عدلها.

"إنّها نزعة تقول بأن كلّ ما هو موجود مادي أو يعتمد على المادة في وجوده بصورة تامة كما تقول بأن كلّ ما يصدر عن الإنسان من أفعال وأفكار وأقوال يعود إلى أساس مادي، المادية بوجه عام مذهب يرد كلّ شيء إلى المادة".[4]

---

(1) هيغل، محاضرات في فلسفة التاريخ، ص165.

(2) علي عبود المحمداوي: فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية، العود الدائمة، ط1، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2012، ص185.

(3) فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، 2000، تونس، ص112.

(4) محمد محمد قاسم: مدخل إلى الفلسفة، ط1، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 2001، ص154.

لقد حاول كارل ماركس توضيح مدى تأثير النزعة المادية على الإنسان ومسار التاريخ والدولة واعتبارها هي التي تحدد وجود الفرد داخل الدولة وهي التي تحكم الأحداث التاريخية، وتساهم في تطورها وهذا ما سنوضحه لاحقا.

"وقد أكد حقيقة العالم الخارجي من أن المثل العليا والأفكار عند بني الإنسان إنّما هي نفسها نتاج البيئة الاقتصادية المادية وما يحصل فيها من تغير، لذا فليس لها وجود مستقل خاص بها وأن صراع المتناقضات لا يحصل في عالم الأفكار كما ادعى هيغل وإنّما في عالم أحوال النّاس الواقعي بواسطة ما يحصل في الكيان الاقتصادي للمجتمع من تغير".[1]

إنّ التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية هي التي تحدد تغيرات المجتمع، ونستطيع أن نحلل المجتمع من خلال المفهوم الاقتصادي أو الواقع الاقتصادي والاجتماعي في أية دولة، وهنا ربط كارل ماركس التاريخية أو قراءة التاريخ من ناحية مادية وصراع سيكون داخل النظام الاقتصادي.

لقد اكتشف ماركس حقيقة بسيطة والتي ظلت حتّى الآن مغطاة بالنمو الزائد للعقائد وهذه الحقيقة هي أنّ الإنسان يجب أن يأكل ويشرب ويتخذ سكنا ولباسا أوّلا، قبل أن يبحث عن سياسة أو دين أو علم أو فن أو سواها[2]، انطلق ماركس من أن الإنسان يجب أن يلبي حاجاته للباس والأكل والشرب والسكن...الخ من أجل حفظ البقاء قبل أن يفكر في السياسة أو الدين أو العلم، وهذا ما أكدّته النزعة المادية التي تكون داخل الفرد أو الإنسان.

وقد أعطى ماركس مراحل مر بها تاريخ البشرية منها مرحلة الشيوعية الأولى، مرحلة الرِّق، مرحلة الإقطاع، مرحلة الرأسمالية، مرحلة الشيوعية الثانية، والتي يرى ماركس أن الصراع سيتوقف وتنعدم الطبقات وهنا تحل الخلافات عن طريق الود والحوار فلا تبقى حاجة للدولة والجيش والشرطة وسائر وسائل القهر لأنّ عهد الاستغلال قد انتهى.

وبالمراحل التي وضعها كارل ماركس في تطور التاريخ انطلق من مرحلة الشيوعية الأولى وصولا إلى الشيوعية الثانية، والتي اعتبرها أفضل النظم الاقتصادية وذلك أنّها ستزول منها كلّ الصراعات والطبقات ويتحقق العدل بين أفراد الدولة، ولكن هل تحقق ما توقعه كارل ماركس؟

---

(1) عبد الحميد صديقي: تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادي، ط1، الكويت، دار القلم، 1980.

(2) نعمان عبد الرزاق السامرائي: نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما، ص108.

إنّ الصراع الطبقي بين المالكين والعمال هو الّذي غيّر مجريات التاريخ، وهو المتسبب في قيام ثورات داخلية وخارجية وصراع المصالح الاقتصادية والبحث عن المواد الأولية للأسواق البشرية، هو الّذي فجر الحروب العالمية[1] في إطار القاعدة المادية الاقتصادية للمجتمع وعلاقتها بالدول الأخرى، والمجتمع الواحد علاقة صراع بين المالك والعامل وأيضا بين الدول، واعتبر الاقتصاد هو المحرك الأساسي والرئيسي في تفجير الحروب العالمية.

إنّنا نجد مصدر تلك النزعة الاشتراكية التي ترى أن المصلحة الاقتصادية هي العامل المشترك بين العناصر التي تتحكم في الجماهير، لأنّ الاشتراكية تنحو نحو التسوية بين المستويات ولا يمكن الطموح إلى التسوية إلا في الميدان الاقتصادي، ولهذا فإنّ الاشتراكية ليست النتيجة المنطقية للمادية الاقتصادية بل على العكس من ذلك، الاشتراكية هي السبب النفساني المؤدي إلى اعتناق المادية الاقتصادية المادية والمادية التاريخية أساسا لتغيير مجرى التاريخ.[2]

"يمكن أن نرجع تبني النزعة الاشتراكية أو الماركسية للمادية إلى سبب نفسي أكثر منه منطقي لأنّ الاشتراكية تريد أن تحقق أفكارها باعتبار أن النظام الرأسمالي هو نظام فاسد يدعو إلى استغلال الطبقة المالكة للطبقة العاملة في جمع الثروة ورؤوس الأموال، فأساس النظرية ينحصر في تفسير الانقسام الداخلي الّذي يحدث في الإنسانية وهذا الانقسام يحدث عن طريق إنتاج الثورات".[3]

"وفي تفسير فوكوياما لكل من هيغل وكارل ماركس في رؤيتهم لنهاية التاريخ يصرح في قوله: "كان في اعتقاد كلّ من هيغل وماركس أن تطور المجتمعات البشرية إلى ما لا نهاية بل إنّه سيتوقف حين تصل البشرية إلى شكل من أشكال المجتمع يشبع احتياجاتها الأساسية والرئيسية وهكذا افترض الاثنان أن للتاريخ نهاية وهي عند هيجل الدولة الليبرالية وعند ماركس المجتمع الشيوعي".[4]

وهنا يفسر لنا فوكوياما رؤية كلّ من هيغل وكارل ماركس لنهاية التاريخ الّذي يتجلى عند كلّ منهما في الدولة أو نظام سياسي للوصول إلى نهاية للتاريخ.

---

(1) الدراجي زروخي: نحو فلسفة التاريخ، ص115.

(2) عبد الرحمن بدوي: أحدث النظريات في فلسفة التاريخ، من مجلة عالم الفكر، العدد الأوّل، المجلد الخامس، 1984، ص226.

(3) أميل برييه: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة محمود قاسم، دار النشر والطباعة والنشر، المكتبة العامة، جامعة الإسكندرية، 1998، ص101.

(4) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، ط1، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1993، ص09.

المبحث الثالث: نهاية التاريخ بين البداية والنهاية

في هذا المبحث حاولنا تسليط على خطاب نهاية التاريخ "المقصود الحقيقي"، فما يقصد فوكوياما بالتاريخ ونهايته؟ هل يقصد به التاريخ العام كما عرفناه في المبحث الأوّل من حيث السّرد للوقائع والأحداث التاريخية في الزّمن الماضي؟ أم هو خطاب يقصد به شيئا آخر؟ وإذا كان كذلك ما هي المبررات التي وضعها فوكوياما لتوضيح فكرة نهاية التاريخ بمعناها الحقيقي؟ أو بالأحرى ما هو المدلول الحقيقي لفكرة نهاية التاريخ في أطروحة فوكوياما؟

1- بدايات نهاية التاريخ:

يجب توضيح فكرة أولية فيما يخص أطروحة فوكوياما أنّها قبل أن تصبح على ما هي عليه اليوم من كتب وأبحاث واسعة، كانت على شكل مقال مصغر يحتوي على أفكار محددة ومعينة، ولكن سرعان ما انتشر هذا المقال وأخذ عدة أبعاد بين الرف والقبول بين مختلف الفئات، ثمّ تحول إلى كتاب موسع يوضح أصل كتابة هذا المقال ويأخذ أبعادا مختلفة.

لذلك يعود أصل الكتاب الحالي إلى المقال الّذي نشر في مجلة **The national intérêt** خلال صيف **1983** تحت عنوان **"نهاية التاريخ"**، ولقد طرحت في ذلك المقال الفكرة التالية: يبدو أنّه قد ظهر توافق مدهش في السنوات الأخيرة يتعلق بالديمقراطية الليبرالية* كنظام للحكم لأنّها اقتصرت على الإيديولوجيات المنافسة كالنظام الملكي الوراثي* والفاشية* وأخيرا الشيوعية*، لقد أشرت فضلا عن ذلك إلى أن الديمقراطية الليبرالية بإمكانها أن تشكل فعلا منتهي التطور الإيديولوجي للإنسانية.[1]

قد يكون كتاب فوكوياما أو **"فيجيواما"** من أهم ما صدر على الصعيد الإيديولوجي في الغرب الأمريكي بعد عدوان المؤسسة الأمريكية على العرب وتفكيك الاتحاد السوفييتي، وزوال ما كان يعنيه مصطلح المعسكر الشرقي.[2]

---

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تقديم مطاع صفدي، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، 1993، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان، ص15.

* الليبرالية: مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في الميادين الاقتصادية والسياسية وهو يقوم على ثلاثة أسس: العلمانية، الديمقراطية، الحرية الفردية.

* الملكي الوراثي: هو أحد الأنظمة الملكية حيث أنّه عندما تنتهي فترة الملك الحالي فينادي بولي العهد ملكا وعادة يكون الابن الأكبر للملك وهو ولي العهد أو أحد الأقارب.

* الفاشية: كلمة الفاشية صفة أيضا لكل نظام حكم أو نظام سياسي يشبه حكم بنيتو موسوليني وأدولف هتلر وسياستهما، فقد قامت حكومتان فاشيتان في كلّ من إيطاليا بقيادة موسوليني وفي ألمانيا بقيادة هتلر.

* النظام الاشتراكي: هو ذلك النظام الّذي يقوم على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج وتحكمه الدولة في إدارة وتسيير وممارسة النشاط الاقتصادي من خلال التخطيط المركزي ويقوم على ثلاثة أسس: الملكية العامة، إشباع حاجات العامة، التخطيط المركزي.

[2] المصدر نفسه، ص05.

نجد هنا فوكوياما الياباني الأصل والأمريكي الجنسية من أسباب كتابه لمقال **"نهاية التاريخ"** هي زوال كلّ من المعسكر الشرقي ومحاولة بلورة فكر جديد، والذي يقوم على الأحادية القطبية أي ظهور نظام واحد يسير وفقه العالم والذي يتمثل في النظام الليبرالي، ولذلك نستطيع أن نتساءل معا ما إذا كان فوكوياما يتوقع تطور هذا الطرح إلى ما هو عليه اليوم؟ وهل حقق ما كان يقصده منه؟ وهذا ما سيتوضح من طرحنا لنظريته لاحقا.

2- تحديد نهاية التاريخ عند فوكوياما:

واضح أننا أمام اغتصاب جديد لمفهوم نهاية التاريخ وحركيته ونهايته يأخذ شكل تأويل ليبني مشروع إيديولوجيا في عصر تم الاتفاق على وصفه بأنّه عصر انهيار الإيديولوجيات أو الإيديولوجية التاريخية الجديدة تعتمد على مقدمات هيغيلية تحريفية على نمط تحريفية ماركسية.

وقد وضح فوكوياما في كتابه **"نهاية التاريخ وخاتم البشر"** عن سوء الفهم أي طال فكرته في استخدامه لمفهوم نهاية التاريخ بمعناه الّذي اعتبره تقليدي حيث يقول: **"وقد اختلط الأمر على الكثيرين للوهلة الأولى بسبب استخدامي لكلمة نهاية التاريخ، فهل إذا يفهمون التاريخ بمعناه التقليدي أو باعتباره سلسلة من الأحداث لجأوا إلى الإشارة إلى سور برلين والإجراءات الصارمة التي اتخذها السلطات الشيوعية الصينية لفرض النظام في ميدان تيانانمن والغزو العراقي للكويت لدليل على أن التاريخ مستمر وعلى أن مثل هذه الأحداث قد أثبتت خطئي على نحو قاطع".**[1]

هنا يؤكد فوكوياما على عدم فهم مقولته ودلالتها في طرحه لنهاية التاريخ فهما صحيحا ولكنه أخذ مفهوم نهاية التاريخ كطرح من خلال فلسفة كلّ من هيغل وكارل ماركس.

3- نهاية التاريخ في إطارها الإيديولوجي:

هنا سيتضح لنا المفهوم الصحيح لنهاية التاريخ باعتبارها تفسيرا للإيديولوجيا التي أراد فوكوياما تمريرها للعالمية ولذلك سنحاول أن نضبط فهم ولو كان بسيطا للإيديولوجيا وإسقاطها على فكرة فوكوياما.

"تؤثر الأفكار والإيديولوجيات على الحياة السياسية بعدة طرق، فهي في المقام الأوّل تقدم منظورا يتم فهم وتفسير العالم من خلاله، فلا يرى النّاس العالم كما هو ولكن فقط كما يتوقعه أن يكون، بعبارة أخرى إنّهم يرونه عبر حجاب من المعتقدات والافتراضات المتأصلة حيث يعتنق كلّ شخص سواء بوعي أو بدون وعي منه مجموعة من المعتقدات والقيم السياسية".[2]

---

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص08.

[2] أندرو هيود: مدخل إلى الإيديولوجيات السياسية، ترجمة محمد صفار، 2012، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص11.

يعني أن الإيديولوجيا هي مجموعة من الأفكار والمعتقدات والمسلمات يتبناها الفرد أو الإنسان بحيث تصبح حياته مرتبطة بهذه الأفكار في جميع المجالات سواء الاقتصادية أو السياسية أو عقائدية مذهبية.

يتعين إلى حد كبير تفسير الإيديولوجية بواسطة صعود وتعديل واضمحلال ترابطات من الأفكار تحت تأثير صعود وتعديل واضمحلال ترابطات محددة من القوى الاجتماعية.

"إنّ النّاس لا يصنعون عدة تواريخ متميزة، تاريخ القانون، تاريخ الأخلاق، تاريخ الفلسفة الخ، بل تاريخا واحدا تاريخ علاقاتهم الاجتماعية التي تحددها حالة القوى المنتجة في كلّ فترة معينة وما يعرف باسم الإيديولوجيا ليس الانعكاسات متعددة الأشكال في أذهان النّاس لهذا التاريخ".[1]

تعتبر الإيديولوجيا هنا انعكاس للمستوى المعيشي من الأفكار والعلاقات والتفكير في فترو زمنية معينة تمثل الأفراد وتحديد غاياتهم وأهدافهم.

"كما أن الإيديولوجيا هي مجموعة متماسكة بدرجة تزيد أو تنقص من الأفكار التي تضع أساسا للنشاط السياسي المنظم سواء قصد به الحفاظ على نظام القوة القائم أو تعديله أو الإطاحة به"[2]، هنا تتخذ الإيديولوجيا منحى سياسي يقوم على رفض أو تعديل أو تغيير نظام معين.

كما ذكرنا سابقا أن الإيديولوجية سياسة تقوم على ثلاثة احتمالات إما رفض أو تغيير سياسة معينة إما الإطاحة بها، لذلك نجد فوكوياما في طرحه لنهاية التاريخ كانت غايته إيديولوجيا أكثر من أنّها ذات طابع تاريخي ولذلك أخذ فوكوياما فكرة نهاية التاريخ التي تؤكد ذلك من عند هيغل يقول: **"وقد أكد هيغل أن التاريخ قد وصل إلى نهايته بقيام الثورتين الأمريكية والفرنسية، بالنظر إلى أن هذا النضال من أجل الاعتراف الّذي كان يحرك عملية التحرك التاريخي قد حقق مراده في مجتمع يتميز بالاعتراف الشامل ونظر أنّه ليس هناك ترتيب آخر للمؤسسات الاجتماعية الإنسانية مكنه أن يشبع هذه الحاجة على نحو أفضل فليس بالإمكان حدوث المزيد من التحولات بعد الآن".**[3]

استند فوكوياما هنا لنظرات هيغل لنهاية التاريخ الّذي اعتبرها انعكاس لما حصل في الثورتين الأمريكية والفرنسية والتي تمثل في وصول كلّ منهما إلى أعلى تطورهما في جميع الجوانب، فهنا ينتهي التاريخ فنهاية التاريخ لا تعني عند كلّ من هيغل وفوكوياما نهاية أحداث تاريخية بل نهاية الإيديولوجيات.

---

(1) ديفيد هوكس: الإيديولوجيا، ترجمة إبراهيم فتحي، المجلس الأعلى للثقافة، 2000، ص87.

(2) أندرو هيود: مدخل إلى الإيديولوجيات السياسية، ص21.

(3) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص14.

ولذا رأى فوكوياما أن نهاية التاريخ إذا فهمت بكل صحيح من قبل العالم ستعطي نتائج ترجع على الإنسان بالإيجابية يقول: **"ولذا فإنّ اختفاء الإنسان بانتهاء التاريخ ليس بكارثة كونية، فالعالم الطبيعي سيبقى كما كان عليه منذ البداية ولا هو كارثة بيولوجية فالإنسان سيبقى حيا كالحيوانات منسجما مع الطبيعة أو مع وجود معين أما بمعناه الشائع أي العمل الّذي يعني الفرضيات والخطأ أو بصفة عامة الذات مقابل الموضوع، إنّ نهاية التاريخ تعني نهاية الحروب والثورات الدموية".**[1]

هنا يحاول فوكوياما تمرير فكرة نهاية التاريخ أو بالأحرى نهاية الإيديولوجية إلى العالم عن طريق وصفه لإيجابياتها التي يطمح لها العالم بأسره وهي الحد من الحروب والثورات والقتل والخسائر المادية وأكثر منها البشرية وهذا ما يريده في بلورة الإيديولوجية الليبرالية للعالم، فهل هذه الإيجابيات التي ذكرها فوكوياما صحيحة أم هي مجرد غطاء إلى ما تريد أن تصل إليه الليبرالية؟

كما يؤكد هذا في قوله: **"نعني نهاية التاريخ نهاية الحروب والثورات الدموية، فباتفاقهم على الغايات تزول القضايا الكبرى التي يتقاتل النّاس باسمها".**[2]

حيث يعتبر أن الإيديولوجية هي التي ستنهي الصراعات بين النّاس والدول لأنّه عندما تصبح الإيديولوجيا واحدة لا تصبح هناك أي صراعات أو قضايا يختلف عنها، ويظهر محل الاختلاف الاعتراف والتفاهم ولكن فوكوياما يحدد لنا الإيديولوجية الليبرالية باعتبارها آخر الإيديولوجيات وأنجحها في تحقيق السلام والنظام الدولي الصحيح.

هنا نجد أطروحة فوكوياما لنهاية التاريخ تحمل في داخلها نوايا أو خلفيات إيديولوجية نستطيع أن نحددها في خلفية إسقاط الاشتراكية، أي عجز الاشتراكية وموتها مقابل ظهور الليبرالية التي لا يوجد بعدها إيديولوجيات أخرى واعتبرها نهاية التاريخ.

---

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص270.

[2] المصدر نفسه، ص288.

ونستنتج من خلال هذا الفصل أن أطروحة **"نهاية التاريخ"** لم تكن من إبداع المفكر السياسي فوكوياما بل كتبت فيها العديد من النظريات والأطروحات التي تتحدث عن فكرة النهايات، ونجد هذا عند هيغل الّذي تحدث في فلسفته عن نهاية التاريخ كما زمنه في نفس الوقت كارل ماركس فطرح كلّ منهم نهاية التاريخ من وجهة نظره الخاصة، هذا ما تم توضيحه، ولكن نجد أن فوكوياما لم ينكر هذا وذلك لأنّه استند إلى نصوص كلّ من هيغل وكارل ماركس، وما يجب أن نقر به أن أطروحته جاءت على شكل تنظير لنظام عالمي جديد وفقا لمستجدات اليوم من تحول في الأنظمة السياسية والاقتصادية التي تحكمت في سير التحولات التاريخية، وهذا ما سعى فوكوياما إلى تأكيده بإقراره في وجود نظام واحد يحقق الاستقرار والسعادة للعالم تحت شعار الديمقراطية في أحضان الليبرالية.

سننتقل من مقولة **"نهاية التاريخ"** حيث أنّها مقولة تؤكد على التنظير الإيديولوجي يروج إلى نظام عالمي جديد يقوم على الليبرالية كسياسة والديمقراطية كقيمة وهيمنة الأحادية الأمريكية تحت شعار العولمة وهذه النقطة الأساسية التي سننطلق منها في بناءنا لبحثنا هذا وملخصها أن نهاية التاريخ ترجمة لفرض إيديولوجيا وسياسة لنظام ليبرالي ديمقراطي، فهل هذا النظام حقق ما أراده؟ وإذا حقق كلّ ما ابتغاه فهل يستطيع الحفاظ على مكانته العالمية أو بالأحرى ألا يمكن أن يظهر نظام آخر ينافس النظام الّذي أقره فوكوياما بأنّه نهاية التاريخ؟

الفصل الثاني

نهاية التاريخ عند فوكوياما

المبحث الأوّل: غائيّة التاريخ بين الإيديولوجيا والنظام السياسي

المبحث الثاني: نهايّة التاريخ بين تناقضات الصراع والاعتراف

المبحث الثالث: الإنسان الأخير عند فوكوياما "خاتم البشر"

الفصل الثاني: نظرية نهاية التاريخ عند فوكوياما

يطرح لنا فوكوياما تصورات عديدة ولكن منطلقاتها وأساس قيامها هي الديمقراطية الليبرالية والتي تشكل نهاية التاريخ أو نهاية الإيديولوجيا الإنسانية والتي تمثل آخر صور النظام السياسي والتي يمكن أن يتوصل لها البشر، وأنه يعتبر أفضل النظم السياسية وآخرها هي النظام السياسي الليبرالي الديمقراطي ولهذا سنحاول رسم سلسة الأفكار والأحداث للوصول إلى ما حاول طرحه من خلال تحديده للغاية التي يريد التاريخ الوصول إليها وما هي نهاية التاريخ وما هي أهم التغيرات التي ساهمت في تغيرات التاريخ والحركة الفاعلة في التغيرات للوصول إلى نهاية التاريخ، فتفكيك فوكوياما نظريته في سياق تاريخي عقلي، علمي اقتصادي سياسي، فنظرية تجمع بين الرؤية التاريخية والرؤية الإنسانية للعالم وسيعرض لنا فوكوياما مواقف مختلفة من الفلسفات التي سبقته مثل: أفلاطون، هيغل، كارل ماركس، هوبز الخ، لكي يستخلص منها أن كلّ الفلاسفات تنظير النظام الليبرالي الديمقراطي ولو بشكل بسيط، وهذا نتيجة للثورة على الأنظمة في وقتهم وكل هذا يتلخص في نظام ليبرالي ديمقراطي الذي يحتضن الإنسان الأخير وهذا ما سنوضحه في هذا الفصل.

المبحث الأوّل: غائية التاريخ بين الإيديولوجيا والنظام السياسي

نجد فوكوياما يضع مسوغات وأساسيات لبناء نظريته أو ما تسمى أطروحة "نهاية التاريخ"، حيث انطلق من فرضية تقول أنّ الهزيمة التي ألحقت بمختلف الإيديولوجيات السياسية وسقوطها يرجع إلى عجزها وعدم مقدرتها على الوصول إلى العالمية أو الكونية، على عكس النظام الليبرالي الديمقراطي الّذي يمثل نهاية التاريخ لأنّه النظام الوحيد الّذي استطاع الانتشار في العالم بقوة، ولكي يثبت فوكوياما هذه الفرضية في تأصيله واستناده إلى العديد من الأسس التي يعتبرها مسارا يتجه إلى نهاية التاريخ، لهذا سنحاول أن نأخذ المفاتيح الأساسية التي تناولها فوكوياما في بناءه لأطروحته.

1- التشاؤمية التاريخية عند فوكوياما:

إعلان فوكوياما عن تشاؤمية في بداية كتابه "يمكن القول في ثقة بأن القرن العشرين قد غرس فينا جميعا تشاؤمات عميقا".

ولهذا يمكننا أن ننطلق في هذا التصور من فكرة مفادها أن هناك حركة جدلية بين الإنسان والتاريخ حيث أن التاريخ هو الّذي يصنع الإنسان ويكيفه والإنسان بدوره هو الّذي يصوغ التاريخ ويصوره، بهذا فإنّ الإنسان والتاريخ مرتبطان ببعضهما على نحو يستطيع فيه التاريخ تشكيل الإنسان لأنّ الإنسان هو موضوع للتاريخ كما أنّه صانع له أيضا من خلال سرده وتدوينه ودراسته وصنع أحداث تستطيع تحريك مسار التاريخ

ولهذا سنجد أن معظم الفلاسفة صنعهم التاريخ وقدموا للعلم وللتاريخ الكثير، ولهذا يمكننا أن نلاحظ أن الفيلسوف خاصة والإنسان عامة يتأثر ببيئته وتاريخه الخاص بحيث يمكنها أن تتحكم في أفكاره ونزعته ورؤيته للعالم **"فقد عاش ابن خلدون عصرا شقيا مضطربا، وتلفت إلى ورائه فرأى أن تاريخ أمم العروبة يتلخص في سلسلة من التجارب الحزينة والفاشلة، أما هيغل فقد في عصر وصل المغرب الأوربي فيه إلى استقرار نسبي ورخاء وغنى وسيادة فامتلأت نفسه بالتفاؤل".**[1]

لهذا يذهب فوكوياما إلى أن القرن العشرين بجميع أحداثه المختلفة زرعت داخلنا النزعة التشاؤمية حيث يقارن بين القرن العشرين والقرن التاسع عشر فيعود إلى أحداث القرن **19**م الّذي يعتبره قرن الاستقرار والسلام بفضل ما خلفته الثورة الفرنسية التي ركزت على مبادئ الديمقراطية بسبب الحرب العالميتين وظهور الأنظمة الديكتاتورية فيقول بهذا الصدد: **"إنّ تشاؤم القرن العشرين يتعارض بشكل كلي مع تفاؤل القرون السابقة وبالرغم من أن أوربا قد بدأت القرن التاسع عشر بالانتفاضات والثورة والحروب المعممة إلا أنّه على وجه الإجمال كان قرن سلام"**[2]، ويضيف فوكوياما نسيان التفاؤل القرن **19**م والذي يرجع إلى التطور العلمي الّذي اعتبر كمساعد على القضاء على الفقر والمرض أما الثاني فهو الانتشار الواسع للديمقراطية في أنحاء العالم.

ويعطي فوكوياما الأسباب التي أدت إلى غرس النزعة التشاؤمية في القرن العشرين **"أنّ التشاؤم الحالي المتعلق بإمكانية التقدم في التاريخ نشأ من أزمتين أزمة القرن العشرين السياسية والأزمة الفكرية العقلانية"**[3]، حيث رأى أن الأزمة السياسية خلفت الكثير من الخسائر ودمرت الآلاف وعشرات الملايين، كما دعى وأجبر الآخرين على الخضوع إلى الأنظمة الفكرية العقلانية والتي يرى بأنّها عرقلت انتشار الديمقراطية، ووضعتها في طور الضعف وأفقرتها من قوتها للدفاع عن نفسها نتيجة ارتباط العقلية بالذات والذي تزامن مع ضعف التأثير السياسي في ذلك الوقت، ونتيجة للتطور العلمي الّذي يعد أخطر من الحرب نفسها إذ يكرس هذا الأخير الهيمنة للأصحاب الّذين يستخدمون التطور التقني وامتلاكهم أسلحة الدمار الّذي يعطيهم حق التحكم في العالم من منظور السيطرة السياسية تحت يد أقوى سلطة تمتلك كلّ مقومات التفوق، ولهذا فإنّ التطور العلمي يرتبط بالجانب السياسي ونجد معظم فلاسفة العصر المعاصر يعالجون هذه الفكرة، إذ **"يرى هابرماس أن الكثير من المؤسسات السياسية فسرت العملية التقنية العلمية للأغراض المصلحية، وأصبحت**

---

(1) حسين مؤنس: فلسفة التاريخ، عالم الفكر، العدد الأوّل، المجلد الخامس، 1984، ص51.

(2) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص38.

(3) المصدر نفسه، ص43.

القرارات السياسية تلغي تقنيات معينة وتوجه بشأن إيجاد تقنيات أخرى وبذلك لم تصبح التقنية بمعزل عن إرادة السياسي"[1]، لهذا فالتطور العلمي والتقنية يعطي الكيان السياسي أكبر ثقة بنفسه فتطغوا الذاتية والهيمنة على الآخر وتظهر القوى المتصارعة التي تتساوى في القوى والدول التي فرضت عليها السيطرة من قبل السياسيين المالكين للتقنيات المتطورة، ولهذا من السهل أن نفهم التشاؤم في القرن العشرين وذلك بمجرد رجوعنا إلى الوراء في التطور التاريخي حيث نجد أن فوكوياما يعتبر أن الأزمة تتمركز حول مفهوم الإنسانية التي تتمثل في الدعوى إلى التقدم وحفظ الإنسانية من جميع أشكال الدمار من خلال السير والوصول إلى النظام الليبرالي الديمقراطي الّذي يشكل أرقى تجسيد للإنسانية في رأيه.

2- أوجه ضعف الدول القوية في نظر فوكوياما

إنّ ضعف الدول القوية يرجع بشكل كبير إلى تجاهل الذات الإنسانية في المراحل التاريخية، على عكس وصفات التاريخ التي تعتبره أهم محور لحركة التاريخ حيث أن الفرد هو الّذي يصنع مصيره وتاريخه، وهذه الرؤية قريبة جدا إلى النظام الليبرالي الّذي يعطي الأولوية للفرد سواء كان في الجانب التاريخي أو السياسي أو الاجتماعي، ولهذا نجد فوكوياما يوضح لنا أسباب سقوط النظام الاشتراكي، والأنظمة الآخرة باعتبارهم الدول القوية مستهلا ذلك بتتبع زمني لمختلف التحولات الكبرى خاصة في النظام الاشتراكي ويحاول تسليط الضوء على نقطة أساسية وهي ضعف النظام الاشتراكي ويفسر لنا كيف تحولت الدول الاشتراكية إلى دول رأسمالية **"لم تبدأ أزمة الدول التسلطية الراهنة مع بردستلرويكا غوريا باتشوف أو مع سقوط جدار برلين لقد بدأ في الواقع قبل سبعة عشر عاما مع انهيار سلسلة من الأنظمة المتسلطة اليمينية في جنوب أوربا المتوسطية في عام 1974* نظام كليتانو سالازار في البرتغال بواسطة الانقلاب العسكري"**[2] وهذا ما يمكننا أن نسقطه على أحد القوانين التي تشكل المنهج الماركسي في تفسير التاريخ والذي يتمثل في قانون الكم والكيف، والتي تتمثل في اختفاء أنظمة سياسية واقتصادية واجتماعية سابقة، وظهور مفاجئ لأوضاع جديدة تقوم على ضعف سابقها وامتلاكها للقوة في شتى المجالات وهذا ما يوضح فكرة فوكوياما على أن تسلط

---

[1] علي عبود المحمداوي: البوتيغا والمهمة الفلسفية أخلاق البابولوجيا ورهانات التقنية، تقديم حسن المعدق، الرؤية العربية الأكاديمية للفلسفة، دار الأمان، الرباط، ص223.

* في عام 1974 أطاح الجيش البرتغالي بالنظام الاستبدادي الّذي حكم البرتغال طيلة 40 عاما وكان يعرف باسم ستادا نوفو أو الدولة الجديدة في القوة أسسه الرئيس أنطواني حكي اوليفير أسالازار في عام 1930، هذا النظام يمثل أكثر الأنظمة الاستبدادية في العالم.

[2] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص45.

الدول التي تتبنى الأنظمة الاشتراكية ومدى ضعفها وحتمية سقوطها حيث أنّها تحمل في داخلها بذور فنائها لأنّها ستتعرض إلى انقلابات لإسقاط النظام.

ويعرض لنا فوكوياما أهم الأحداث التي جعلت العالم الشيوعي ذات قوة اقتصادية، فقد كانت الدول السوفياتية **"الاشتراكية"** قوية وخاصة في روسيا تحت رئاسة خروتشوف فنجده في كتابه في عدة نقاط يتلخص فيما يلي:

- في أوائل الثمانينات بدأت الزعامة الشيوعية الصينية تسمح للفلاحين الّذين يشكلون **80%** بزراعة وبيع محاصيلهم الزراعية وظهور علاقات السوق الرأسمالية.
- في عام **1986** شرعت الصحافة السوفييتية في نشر مقالات تنتقد جرائم عهد ستالين.
- في عام **1989** أجريت الانتخابات لمجلس نواب الشعب ومجلس السوفيت الأعلى.
- في فيفري **1989** انسحب الجيش السوفييتي من أفغانستان.
- في أوائل **1989** أعلن الإصلاحيون من الحزب الشيوعي بإجراء انتخابات متعددة.[1]

كما سبق أن ذكرنا أن فوكوياما باستعراضه للقوة الاقتصادية للمعسكر الشيوعي لم يكن من أجل لإبراز قوتها ولكن هدفه الأساسي هو توضيح نقاط الضعف، التي أدت إلى تلاشي واضمحلال هذه القوة ويذهب إلى أن التغيرات التي طرأت على النظام الاشتراكي هي التي أوقعتها في فشلها نتيجة ضعفها وعدم قدرتها على الحفاظ على المبادئ الأساسية التي قامت عليها، لتواجه النظام الليبرالي الّذي أصبح محل قوة خاصة في النظام الاقتصادي الّذي يقوم على الرأسمالية الحرة، على عكس النظام الاشتراكي الّذي عجز على حل معظم مشكلاته الاقتصادية، ولهذا نجد أن سقوط نظام اقتصادي وسياسي لا يكون في فترة زمنية قصيرة بل نتيجة التراكم الّذي يحمل الضعف والفشل ولهذا نجد فوكوياما دائما يحاول الربط بين الأفكار من خلال وضع علاقة جدلية بين النظام الاقتصادي والسياسي، وهذا لصعوبة فصل السياسة عن الاقتصاد لأنّهما متلازمان يسيران في طريق واحد وسقوط أو فشل أحدهما يؤثر بالضرورة على الآخر.

كما نجد كارل ماركس في تحديده للمذهب الاشتراكي وفي ربط تاريخ الإنسان بالمجتمع والدولة يذهب إلى **"أنّ نمو الحياة الإنسانية فردية أو اجتماعية تقاس بدرجة الثروة الزراعية والصناعية، وأن نوع الإنتاج في الحياة المادية شرط تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية على العموم".**[2]

---

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص29-31.

[2] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعارف، ص402.

وهنا نجد أن السقوط الاقتصادي أو عدم وجود نظام اقتصادي ناجح يكتفي به أفراد الدولة سيؤدي حتما لسقوط النظام السياسي، وهذا ما لم يستطع تحقيقه النظام الشيوعي في نظر فوكوياما رغم مناداته بشعار توفير أحسن مستوى معيشي لأفراد الدولة، وبظهور الرأسمالية وانهيار الإيمان بالنظام الاقتصادي السوفياتي الّذي أصبح يعتبر كنظام ظالم ومستبد لم يحقق أي مطمح من مطامح الشعب في الدولة، ولهذا فإنّ سقوط النظام الشيوعي الاقتصادي نتيجة لعجزه وظهور نظام أقوى منه الّذي يتمثل في النظام الليبرالي.

3- غائية التاريخ:

يطرح فوكوياما سؤال جوهري يتعلق بغائية التاريخ وتطوره فجاء السؤال على الشكل التالي: هل تتطور المجتمعات أو معظمها في اتجاه واحد أو معين أم أن التاريخ ينهج نهجا دوريا أو عفويا معين؟ وهنا فوكوياما في نظريته التي وضعها وحددها في نهاية التاريخ ولهذا يبدأ بإثارة مسألة ما إذا كان التاريخ هو الاتجاه أم لا؟ وماذا إذا كان لتاريخ محركات تصنع اتجاه التاريخ ولهذا نجد فوكوياما يحاول فهم الآلية التي تحدد مسار التاريخ والمفاتيح والمسلمات لفهم التاريخ وقبل أن نفصل في ماذا يتناوله فوكوياما نذهب إلى تحديد مفهوم الغائية:

"الغائية: صفة كلّ ما يتجه عن قصد إلى هدف معين ومنها الملائمة بين الوسائل والغايات وخضوع الأجزاء للكل وهناك غائية خارجية يكون الهدف فيها خارجا عن الكائن نفسه وغائية داخلية يكون الهدف فيها ذات الكائن".[1]

هنا الغائية تعني الوصول إلى هدف معين يكون محددا ومسطرا من قبل الإنسان عن طريق الوسائل للوصول إلى الغائية.

"كما يعرف عن المذهب الغائي مقابل المذهب الآلي (الآلية) ويطلق على كلّ نظرية تعلل ظواهر الوجود بالأسباب الغائية"[2] فإنّ مآل التاريخ أو غائية التاريخ عند فوكوياما استنادا للتعريفين السابقين وربطهما بغاية فوكوياما فإنّ غاية التاريخ عنده هو تطور والتقدم التاريخي نحو الديمقراطية الليبرالية وهي في اعتبار فوكوياما في نظرية نهاية التاريخ هي آخر ما يصل إلى الإنسان وآخر غاية للتاريخ.

كما أن فوكوياما يستند إلى إثبات رؤيته في تطور المجتمعات من خلال رؤيته الفلسفية عن مصير الحضارة الغربية وربطها بغاية التاريخ، ويذهب بعض الفلاسفة في تفسير التاريخ وغائيته نجد **"شبنجلر جانب**

---

[1] إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص131.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص124.

المؤرخين الّذين يحاولون توكيد كيان التاريخ إيزاء طغيان العلوم الطبيعية ومنهجها في القرن التاسع عشر ومن ثمّ فإنّه يستبدل بمقولة أخرى يراها أكثر ملائمة لفهم سباق التاريخ أنّها مقولة المصير"[1] ومنه نجد أن شبنجلر في فهمه للتاريخ استبعد العلة الغائية لأنّ تفسيرها من خلال تطور العلوم فهم خطأ، واستبدلها بفكرة المصير التي تغيير عن الحياة التي ترتبط بالتجربة الحية التي نستطيع تفسير بها مسار التاريخ، وعلى عكس شينجلر يذهب فوكوياما إلى تفسير غائية التاريخ حيث يربط التاريخ بنقطتين أساسيتين: تطور العلوم الحديثة، التطور الاقتصادي.

أ- اتجاه التاريخ والعلوم الطبيعية الحديثة:

في ظل تطور وتراكم العلوم الطبيعية الحديثة والتي يمكن تفسيرها من خلال التطور التاريخي فيقول في هذا: **"في محاولة الأولى لفهم الآلية التي تضفي على التاريخ غائية لنعل ما فعله فونتيل وبيكون وتعتبر المعرفة مفتاحا لغائية التاريخ خاصة معرفتنا على الكون الطبيعي التي يمكن للعلم توفيرها لنا، وذلك أننا لو نظرنا إلى كافة صنوف الجهد الاجتماعي البشري لوجدنا أن المجال الوحيد الّذي يجمع النّاس على أنّه بكل تأكيد غائي وتراكمي المعرفة هو العلوم الطبيعية الحديثة".**[2]

وترتبط العلوم الطبيعية الحديثة مع تطور المنهج العلمي، المنهج العلمي هو أحد أدوات العلم الحديث والذي يتمثل بمجموعة من أسماء فرانسيس بيكون حيث أن المعرفة تراكمية خاصة في العلوم الطبيعية للحديث عن عكس الرسم أو الموسيقى، ولهذا نجد أن التقدم التدريجي نحو الأفضل من حيث توسع المعرفة المستمر ولهذا نجد أن مدى تطور العلوم والمعرفة المتقدمة من قبل الدول المتقدمة جعلها في موقع تستطيع أن تفرض إرادتها وأيديولوجيتها على الدول الأقل منها معرفيا وعلميا وخاصة دول العالم الثالث، ولهذا نجد أن العلم والتقنية اليوم ذات أهمية كبيرة في تحقيق المستويات المختلفة في جميع المجالات الطبية والعسكرية والاقتصادية وأهمها السياسة.

ويعطي فوكوياما للعلم في ظل وجود البشرية والحضارة الطابع العالمي والغائي ويحدده في التنافس العسكري، **"فالطابع العالمي للعلم يوفر الأساس لتوحيد البشرية كلها بالنظر إلى انتشار الحروب والصراعات في النظام الدولي والعلوم الطبيعية الحديثة تتيح مزية عسكرية حاسمة لتلك المجتمعات القادرة على تنمية التكنولوجيا وإنتاجها واستخدامها على أكمل وجه"**[3]، وهنا نجد أن التفوق العسكري عن طريق

---

(1) أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص244.

(2) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص77.

(3) المصدر نفسه، ص78.

تطوير وإنتاج التكنولوجيا والمعرفة بشكل فعال يعطي للدول قوة كبيرة وامتيازات عديدة للسيطرة على استقرار بلادها والتحكم في غيرها، لأنّه نلاحظ أن ظاهر العلاقات بين الدول معظمها هي علاقة صراع والتنافس من أجل امتلاك المزيد من القوة في تطوير الجانبين العسكري والعلمي وهذا لطرح يتبناه فوكوياما بشكل كبير فيقول: **"فأي دولة تطمح في حماية سيادتها السياسية مضطرة إلى تبني تكنولوجيا أعدائها ومنافسيها".**[1]

إنّ كثرة الحروب واحتمال وجود الخطر في أي وقت ممكن تستدعي الدولة التي ترى نفسها تحت طائلة التهديد والخطر من قبل المنافسة لها إلى التوجه إلى تبني المعرفة العلمية والتكنولوجية ومواكبتها وتطويرها وتطويقها في الجانب العسكري لأنّه هو الّذي يحقق لها استقرار الحكم، ولقد وضع فوكوياما العديد من الأمثلة في فترات زمنية مختلفة في التاريخ تؤيد فكرته التي أدت إلى انتهاء الإمبراطوريات والإقطاعيات المختلفة وذلك يرجع للعجز الّذي طال الجانب العسكري حيث أنّه يشرح فوكوياما **"المثال من التوسع في الدول الأوربية في جميع أنحاء العالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهذا التوسع ارتبط بإمكانية التطور في العلم وهذا انعكس على الدول الأوربية بالتفوق العسكري على الدول الأخرى من العالم ولهذا أصبح العلم بمثابة الورقة الرابحة لاستعمار الدول للأراضي من خلال التطور العسكري لشن الحروب".**[2]

التحول العسكري من مرحلة إلى مرحلة وتطوير وامتلاك أفضل الوسائل ليكون نتيجة الحفاظ على مكانتها في ظل التنافس الدولي، حيث أن الواقع اليوم يؤكد على مدى صحة هذا الطرح فأصبح الجانب العسكري يحدد مسار التاريخ ومدى التحولات التي تطرأ على العالم، لأنّ الممارسات السياسية اليوم تستدعي القوة العسكرية والتي بدورها تتسابق نحو التسلح بأفضل الأسلحة دمارا.

ب- غائية وحتمية التطور الاقتصادي:

وبعد توضيح المستوى الأوّل من غاية التاريخ وهو تطور العلوم الطبيعية الحديثة سنجد في مقابل هذا مستوى آخر يقوم على تحسين حياة الإنسان، ولهذا فإنّ التحول يرتبط ارتباطا وثيقا بالاقتصاد، ولأن الظروف المادية والنظام الاقتصادي الناجح يحقق علاقات اجتماعية تنعكس على السياسة والدولة بالاستقرار **"لهذا نجد أن علم الاقتصاد يبحث في التوازن العامل بين الإنتاج وبين الاستهلاك، فهو من جهة يصف تطور وتقدم الإنتاج وبالتالي يصف وسائل الإنتاج المادية والتنظيمية، بما فيها تطبيق العلم الحديث على الطبيعة"**[3]

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص79.

(2) المصدر نفسه، ص79.

(3) عبد الله العروي: مفهوم الحرية، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993، ص94.

ولهذا فالجانب الاقتصادي يحقق الاستقرار وامتلاك وسائل الإنتاج التي تساعد على البحث والتطوير والقيام بالبحوث العلمية على الطبيعة، ويذهب فوكوياما إلى أن التفوق التكنولوجي يجب أن يخدم الجانب الاقتصادي وهذا يتحقق بتوفير أكبر قدر من مناصب العمل، لأنّ التغيرات الاقتصادية ومدى نجاحها يحقق لنا تحولات كبرى.

ويؤكد فوكوياما على أن المعرفة والعلم والاقتصاد يسيران في خط واحد ويلتقيان في نقطة واحدة وهي خدمة الإنسانية: **"إنّ العلوم الطبيعية الحديثة تنظم اتجاه النمو الاقتصادي بفعل الآفاق الدائمة التغير للإمكانيات الإنتاجية والاتجاه الّذي يسير فيه هذا التحول التكنولوجي"**[1]، إنّ التطور العلمي والمعرفي يساهم في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية وذلك عن طريق توحيد العلم مع النمو الاقتصادي لتحقيق أكبر قدر من المنفعة عن طريق استعمال العقل، ويذهب إلى أكثر من ذلك في محاولة المقارنة بين الاقتصاد الليبرالي والأنظمة الاقتصادية السابقة عنه وتوضيح نقاط الضعف لهذه الأنظمة في اعتبار أن هذه الأخيرة تقوم بتوفير حاجيات الأفراد في المجتمع، لكنّها تفتقر لنظام ومبادئ عقلية لتنظيم العملية الاقتصادية، لهذا ظهور الأنظمة العقلية والتي تحمل نظام متكامل مدروس وفق مبادئ وأسس وأهداف مرسومة ومسطرة ولهذا يعتبر أن النظام الليبرالي الأكثر عقلانية وتنظيم عبر العالم وبين الأنظمة الاقتصادية.

ويعتبر النظام الاقتصادي الرأسمالي هو النظام **"سوبرمان"** إذا أردنا وصفه وإعطائه مكانته لأنّه رغم الحملات التي شنتها الأنظمة الأخرى عليه إلا أنّه وقف صامدا أمام هذه الهجمات وتحقيق الانتصار وأصبح نظام عالمي الّذي يحكم مختلف الدول رغم الاختلاف في الثقافات والحضارات من بلد لآخر، ولهذا نجد أن النظام الرأسمالي حقق الاتحاد بين المعاملات التجارية بين الدول كما اتبع هذا النجاح الاقتصادي انتصار السياسة الليبرالية الديمقراطية وترأسها العالم كله وهذا ما يؤكده فوكوياما في محاولة لوصف الأسباب التي أدت لبزوغ هذا النظام كنظام عالمي ناجح: **"إنّ ثمة حضارة عالمية حقيقية قد بزغت خلال القرون القليلة الماضية محورها النمو الاقتصادي القائم على التكنولوجيا والعلاقات الاجتماعية الرأسمالية اللازمة لتحقيق هذا النمو والحفاظ عليه"**[2]، ولهذا فإنّ النظام الاقتصادي الليبرالي جعل من العالم حضارة واحدة تقوم على العولمة الاقتصادية من خلال التطور العلمي والعلاقات الاجتماعية من خلال نظام اقتصادي رأسمالي.

ولهذا يمكن أن نقول أن فوكوياما أمام التطور التاريخي سواء من خلال التطور العلمي أو التنافس العسكري أو النظام العسكري، فإنّ كلّ هذه التغيرات تجعل سير التاريخ في اتجاه واحد نحو زيادة التقدم العلمي

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص81.

(2) المصدر نفسه، ص122.

وتقنيات وتطور أكثر من أي وقت مضى، في ظل نظام اقتصادي وسياسي يقوم على الليبرالية الديمقراطية فهذه هي غاية التاريخ.

المبحث الثاني: نهاية التاريخ بين تناقضات الصراع والاعتراف

نجد أنّ إصرار جميع النّاس والدول للسعي وراء نيل الاعتراف سواء على الصعيد الذاتي للأفراد داخل الدولة أو الاعتراف الدولي العالمي كدولة تستطيع تحقيق استقلالها داخليا وخارجيا، ولهذا نجد الصراع اليوم يغطي الساحة العالمية في ظل الصراعات والحروب باعتبار الوقف أما إشكالية أخرى تتضمن هل الاعتراف أو السعي وراء نيل الاعتراف هو مطلب أو حق؟ وأبرز مثال في واقعنا وعلى الصعيد الدولي نجد القضية الفلسطينية التي تتمثل في السعي وراء نيل الاعتراف من قبل الأمم المتحدة بالاعتراف بأنّها دولة مستقلة وفي مقابل ذلك إصرار إسرائيل على نيل الاعتراف كدولة يهودية لهذا فإنّ الصراع القائم في الأراضي الفلسطينية لن ينتهي إلا بتقبل الآخر سواء عن طريق التفوق والمساواة، ولهذا فإنّ وجود وقيام الحضارات من الناحية الاجتماعية أو السياسية قائم على أساس تناقضات تحمل داخلها صراع وهذا كله داخل تفسير العملية العلمية ولهذا فوكوياما حاول تحديد التناقضات وأصل الصراع، لكن هل فوكوياما يرى أن للتناقضات نهاية؟ وإذا كانت كذلك فما هي هذه التناقضات؟

1- أصل النزاعات:

إنّ تطور العلم الحديث وازدهار الجانب الاقتصادي هما عاملين في تفسير التاريخ العالمي ولكن هذان العاملين في تفسير التاريخ العالمي ولكن هذان العاملين لا يكفيان في معرفة مسار التاريخ العالمي، حيث يستند إلى ظهور عامل آخر يمثل التفسير التاريخي منذ وجود البشرية وهو صراع ولكي يؤكد فوكوياما هذا الطرح **"فالآلية التي خلقتها العلوم الطبيعية الحديثة هي بطبيعتها جزئية وغير كافية لتفسير مسار التاريخ"**[1]، ولكي نستطيع تفسير المسار التاريخي يجب علينا أن نبحث على مسار آخر يمثل لنا المحرك الأساسي للعملية التاريخية وخاصة في النظام الاجتماعي والسياسي لأنّه في ظل وجود تناقضات داخل الطبيعة البشرية للإنسان وداخل الوجود الحضاري في الدولة لتفسير وفهم العلم الجديد اليوم لهذا يستند فوكوياما إلى هيغل في هذه الفكرة ذلك أن هيغل يعتمد في دراسة فلسفة التاريخ على دراسته لتطور المجتمع الإنساني وذلك من خلال الأطروحة الأساسية عند هيغل وهي الصراع من أجل الاعتراف أو ما يمكن أن نحدده في فلسفة هيغل علاقة السيد والعبد وينطلق في تفسيره لجدلية التاريخ، **"من أن الإنسان والحيوان يشترك في الاحتياجات الفطرية والطبيعية مثل**

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص136.

الطعام والنوم والمأوى والحفاظ على الحياة، ولكن يوجد اختلاف واضح يحدده هيغل في غير أن الإنسان الأوّل عند هيغل مختلف اختلافا جوهريا عن الحيوان فهو يرغب فوق كلّ شيء في رغبة الآخرين أي في أن يريده الآخرون أو في نيل الاعتراف والتقدير"[1]، لهذا يرى أن نيل الاعتراف والتقدير هو الّذي يحدد ذات الإنسان، ولهذا فالإنسان هنا يذهب إلى الدخول في الصراع مع الآخرين من أجل الحصول على هذه المكانة ولهذا استند فوكوياما للطرح الهيغلي في تعزيز رؤيته التاريخية العالمية ومحاولة تفسير التاريخ على أساس الصراع القائم على نيل الاعتراف، وبما أن فلسفة هيغل قائمة على جدلية التناقض فهو يعطي لعلاقة السيد والعبد علاقة بين متناقضين **"الوعيان بالذات والآخر متضادان الوعي بالذات يتضاد قبل كلّ شيء مع نفسه وأنّها دراما اللامساواة بين العبد والسيد والملاحظ بالنسبة إليه أن الصراع من أجل الحياة والموت"**[2]، ولهذا فيخلص هيغل أن جوهر العلاقة هو السعي وراء الاعتراف على خلفية الصراع الّذي هو الكفاح من أجل الحياة أو الموت حيث أن هذا الأخير هو القوة الدافعة الأساسية للتاريخ البشري ولهذا قام فوكوياما بإسقاط الرؤية الهيغيلية باعتبارها مفيدة لفهم العالم الحديث فيقول: **"فالمعركة الدموية بين البشر الأوّل هي مجرد نقطة البداية للجدلية الهيغيلية وهي تترك أمامنا شوطا بعيدا صوب الديمقراطية الليبرالية الحديثة"**[3]، وهذا فوكوياما يؤسس إلى مبادئ أساسية انطلق من رؤية هيغل ومسلمة نيل الاعتراف، للوصول إلى نقطة أساسية يسندها إلى محركين سابقين تطور العملية التاريخية والتي تتمثل في النظام الديموقراطي الليبرالي الّذي يحقق تلبية هذه الرغبة في الاعتراف وهنا الوصول إلى نهاية التاريخ الّذي يتمثل في الدولة الليبرالية.

2- الصراع من أجل الاعتراف:

وسيحدد فوكوياما بالرجوع إلى مجموعة من الفلاسفة في توضيحه لفكرة الصراع من أجل الاعتراف ومن بينهم هوبز الّذي يعد أبرز فلاسفة العقد الاجتماعي، وذلك برجوعه إلى الطبيعة الإنسانية وتحديد أصل النزاعات **"هكذا نجد في طبيعة الإنسان ثلاثة أسباب رئيسية للنزاعات أوّلها التنافس وثانيهما فقدان الثقة بالنفس وثالثهما المجد"**[4]، ولهذا فإنّ النزاعات كانت على المستوى الفردي أو الجماعي الخارجي أو الداخلي الّذي يكون بين الدول يعد ظاهرة اجتماعية وسياسية تقوم على حركية وديناميكية التاريخ، ولها أبعادها

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص138.

(2) ألكسندر كوجايف: جدلية السيد والعبد من المدخل إلى قراءة هيغل، ترجمة وفاء شعبان، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 114، مركز الانتماء القومي، الكويت، ص54.

(3) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص142.

(4) المصدر نفسه، ص144.

وأسبابها، لهذا رأى فوكوياما في رجوعه إلى هوبز أن هذه المحركات التي سبق ذكرها هي الرئيسية لخلق النزاع يمكن أن يكون ظاهره تافها ولكن داخله هو محاولة الظفر بالاعتراف ويصبح هذا الاعتراف هدفا أساسيا يجب تحقيقه، وهذا نجد هوبر في تحليله وتفسيره للطبيعة البشرية على أساس النزاع الّذي يحمل أسباب مختلفة أراد أن يوضح الحقيقة الواقعية والقائمة على تحقيق أسباب غاية عن طريق البحث على مصدر القوة والتفوق، ولهذا نجد أن جل الفلاسفة الغربيين يتفقون على نقطة تأصيلهم لمفهوم السيد والعبد ويؤيدون العبودية ولهذا نجد هوبز يعتبر مرحلة السيد والعبدهي مرحلة أساسية في الجنس البشري ومن هنا يولد صراع وهذا نلاحظه في ربطه بالعقد الاجتماعي وظهور الدولة حيث يعتبر **"أنّ أساس وجود المجتمع السياسي استنادا إلى الاتفاق والإرادة المجتمعية الواحدة والعامة على قيامه باتفاقهما على خضوع أفرادها للسيد أو صاحب سيادة واحدة"**[1]، ولهذا نلاحظ أن هوبز يعتبر وجوب تخلي الأفراد وتنازلهم عن كلّ حقوقهم وحرياتهم من أجل المصلحة العامة والتي يقررها السيد، إذن ففقا لهوبز في طرحه فيعني أن هناك عقد يتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين يتنازل بموجبه الشعب على حقه في السيادة إلى الحكومة ولكن هل هذه الأخيرة ستحافظ على الطبيعة البشرية التي تتمثل في الإحساس بالعدل أو غيابه؟

ويصبح العقد الاجتماعي في حالة وجود حاكم طاغي يتحكم في إرادة الأفراد والدولة تؤدي إلى قيام حروب داخلية وخارجية تسقط هذا العقد والدولة ذاتها، ويبدو أن فوكوياما في توسيعه لفكرة الصراع والاعتراف حيث تناول في كتابه بعض المصطلحات التي وجدت عبر العصور، حيث أنّه يقر بأن مفهوم الاعتراف ليس مفهوما غريبا معاصرا بل إنّه يوجد منذ وجود الحضارات والفكر ولكن التعبير الاصطلاحي يختلف والمقصود واحد ولهذا سنركز على مفهوم الثيموس* عند أفلاطون كمفهوم سيسقطه فوكوياما على الصراع من أجل نيل الاعتراف فيقول: **"قد ورد أوّل تحليل مطول للظاهرة الراغبة في الاعتراف في المذهب الفلسفي الغربي في كتابه هو في قمة هذا المذهب وأعني به جمهورية أفلاطون"**[2]، كما يذهب إلى أن سقراط يعتبر أن الثيموس هو أساس قيام المدينة الفاضلة و لم يعتبره مجرد فضيلة إنسانية بل فضيلة سياسية وهنا نجد أن فوكوياما يحاول أن يأخذ الثيموس كشكل من أشكال الوعي بالذات.

ويذهب مقدم كتاب **"نهاية التاريخ والإنسان الأخير"** مطاع أصفدي في تعليله لأسباب رجوع فوكوياما إلى استخدام مفهوم الثيموس لدى أفلاطون **"وكما كان أطلق عليه أفلاطون اسم الثيموس وهذا**

---

(1) عبد الرضا حسين الطعات: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص423.

* الثيموس: كلمة إغريقية للدلالة على القوة الغضنية والمخاطر من أجل الكرامة وتعني أيضا الهمة والشجاعة.

(2) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص150.

هو الجزء الراغب من النفس والطامح إلى تأكيد الذات وانتزاع اعتراف الآخرين به"[1]، وهذا لأنّ فوكوياما أراد تصوير صراع وميل والقيم في ذات الفرد الإنساني من خلال الثيموس ويؤكد على الخلط القائم بين الثيموس والرغبة، فإنّ الاختلاف أن الأوّل في تأثيره على الذات يحدد مدى استعداد الفرد على التضحية من أجل كرامته، أما الثانية فهي تقوم على الرغبة في الوصول إلى الاعتراف من قبل الآخر لا على محاولة فرض والحفاظ على مكانته، كما يؤكد أن عدم فهم والرغبة بالتفوق فهما صحيحا سيؤدي بالنظام السياسي إلى السقوط ويشير هنا إلى الاشتراكية.

إنّ الهدف الأساسي لفوكوياما في استخدام الثيموس تقوم على **"أنّ رؤية فوكوياما تقوم على كون الديمقراطية الليبرالية هي نهاية التاريخ الّذي يتحرك ليس بفعل العنف والصراعات بل بفعل الرغبة الملحة للاعتراف، يخلق فوكوياما البدائل عن الصراع ومنها التيموس وهو المحرك الأساسي للتاريخ ويعني به الجزء الراغب في النفس والطامح إلى تأكيد الذات وانتزاع اعتراف الآخرين به".**[2]

3- الاعتراف بين الإيسموثيميا والميجالوثيميا (الرغبة في الاعتراف بين التفوق والتساوي):

هنا يحدد لنا فوكوياما توليد لفكرتين يندرجان من الثيموس، أي أن الرغبة في الاعتراف ستولد لنا صراعا آخر بما يسمى **"الميجالوثيميا* والإيسوثيميا*"**، وبهذا يذهب فوكوياما بالى البعد الأخلاقي في الإنسان ولتوضيح هذا يقول: **"غير أن وجود بعد أخلاقي للخصة الإنسانية يقوم دائما بمهمة تقييم الذات وتقييم الآخرين، لا تعني توافر الاتفاق على مضمون موضوعي للأخلاق ذلك أنّه في عالم من الذوات الأخلاقية الثيموسية سيظل النّاس يختلفون فيما بينهم ويتنافسون، وبالتالي فإنّ الثيموس حتّى في أبسط مظاهرها هي نقطة البداية في النزاعات بين البشر"**[3]، هنا يرى فوكوياما أن الثيموس أقر لنا بداية للنزاعات والتي تتمثل في الميجالوثينيا والإيسوثيميا وهذه النزاعات بالضرورة في رأيه أنّها ستولد لنا دول قوية ودول ضعيفة الأولى تريد التحكم والسيطرة في الثانية من منطلق القوة والتفوق.

فهنا بين تبني المجتمع أو الدول خاصة في الجانب السياسي لتحقيق كلّ من **"الميجالوثيميا والاسيوثيميا"** سيتحقق صراع آخر لذلك سيأخذ فوكوياما مجموعة من الفلاسفة الّذين أرسو مفهوم

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص08.

(2) علي عبود المحمداوي: فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية والعود الدائم، ط1، ابن ندىم للنشر والتوزيع، 2012، ص484.

* الميجالوثينيا: كلمة إغريقية للدلالة على الرغبة في نيل الاعتراف بالتفوق والتميز حتّى بالسيطرة على الآخرين وهذا يعتبر من جنون العظمة.

* الاسيوثيميا: كلمة إغريقية للدلالة على الشعور بالتعادلية والتساوي مع الآخرين في المنزلة وتعني أيضا نزع الاعتراف بالتساوي والندية.

(3) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص156.

الإيجالوثيميا فيقول: **"أما الميجالوثيميا عند السادة الراغبين في الهيمنة على الآخرين عن طريق الإمبريالية والتي تعتبرها سعيا وراء المجد، فالقديس أوغسطين مثلا يورد الرغبة في المجد في قائمة الرذائل الأقل خطورة والتي يمكن أن تكون طريقا إلى عظمة الفرد"**[1]، كما نجد فوكوياما يأخذ ميكافيلي كمثال في محاولة لاعتبار الميجالوثيميا أمر طبيعي فيقول: **"سعى إلى إقامة نظام سياسي صالح على أساس طبيعة البشر الشريرة فالشر يمكن استخدامه لأغراض الطبيعة لو أنّه وجه في القنوات المناسبة"**[2]، فإنّ الرغبة في الاعتراف كانطلاق من التفوق في نظر ميكافيلي تتجسد في الطبيعة الشريرة لدى الإنسان ويمكننا استخدام هذه الطبيعة في السيطرة بدافع الضرورة والحاجة والطموح الّذي يريد أن يصل إليه الفرد والدولة.

كما يؤكد فوكوياما على تأييده لنيتشه حيث أن الميجالوثميا شرط في الحياة الإنسانية **"إن استحالة كل القيم تتحدد على الشكل التالي صيرورة فاعلة للقوى وانتصار لإثبات في إرادة الاقتدار والإثبات هو الجوهر أو إرادة الاقتدار بالذات"**[3]، ففلسفة نيتشه واحدها تمثل الرغبة في التفوق عن الغير ويعتبر أن الثيموس يتلخص في الميجالوثيميا ويذهب فوكوياما **"إلى موافقة نيتشه على أن أولئك الفلاسفة في بداية العصر الحديث الّذين أرادوا استئصال أشكال التيموس الأكثر وضوحا من المجتمع المدني قد كتب لهم النصر المحقق وقد حل محل الميجالوثيميا مزيج من أمرين هو ازدهار القوة الشهوانية للروح والذي تمثل في صبغ الحياة تماما بالصبغة الاقتصادية".**[4]

ويذهب فوكوياما إلى تأكيد الطرح الّذي ينظر إليه نيتشه ولو بشكل بسيط لأنّه اعتبر أن التفوق الحضاري يكون بتبني الميجالوثيميا، **"غير أن الطبيعة ستأمر من أجل الحفاظ على درجة كبيرة من الميجالوثيميا شرط ضروري للحياة ذاتها، فالحضارة التي ليس بها فرد يريد نيل الاعتراف بتفوقه على الآخرين والتي لا تؤكد بطريقة أو بأخرى صحة مثل هذه الرغبة وفضلها لن يكون فيها إلا القليل من الفنون والآداب والموسيقى والحياة الفكرية أما يكون القدر الضئيل في الدينامية الاقتصادية"**[5]، وهذا ما يؤكده الواقع اليوم لأنّ الدول التي تتبنى الميجالوثوميا نجدها دائما تحاول التفوق على غيرها من خلال تطوير نفسها في جميع المجالات سواء العلمية أو الاجتماعية وتبني لها نظام سياسي محفز يجعل منها قوة تريد فرض

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص167.

(2) المصدر نفسه، ص167.

(3) جيل دولوز: نيتشه، ترجمة: أسامة الحاج، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص36.

(4) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص172.

(5) المصدر نفسه، ص274.

نفسها عن طريق القوة وامتلاكها لتفوق عن باقي الدول وهذه الدول هي التي تمثل الميجالوثيميا خاصة الدول الغربية.

كما يؤكد فوكوياما أن رد الفعل الّذي سيأتي على الميجالوثيميا باعترافها التيموس في تحقيق الرغبة فيقول في هذا: **"الّذي حل محل الميجالوثيميا هو إسيوثيميا شاملة أي رغبة المرء في أن يعترف به الآخرون مساويا لهم"**[1]، فبعد وجود الصراعات من أجل نيل الاعتراف عن طريق التفوق والقوة، يأتي رد فعل عن هذا برغبة النّاس أن يكون الاعتراف مساويا بين كلّ البشر وبين كلّ الدولة، وحتّى هذا الصراع سيظل قائما مادام هناك قوى متفاوتة في القوة فبالضرورة الضعيف سيكون خاضعا وتابعا للقوي، فجدلية السيد والعبد ستظل راسخة في الفكر الغربي والعالم إلا إذا حصل التكافؤ أو زوال الحياة عن العالم، ولكن نجد فوكوياما يعطي إسقاطا على نهاية التاريخ والاعتراف أو التيموس **"فمسألة التاريخ إذن هي مسألة مستقبل الثيموس ما إذا كانت الديمقراطية الليبرالية تشبع الرغبة في نيل الاعتراف"**[2]، هنا يريد فوكوياما اعتبار الدولة الليبرالية الديمقراطية"نهاية التاريخ" هي التي تمثل التيموس لأنّها هي التي ستعطي للفرد أو الدولة أكبر قدر من نيل الاعتراف ويؤكد هذا في قوله: **"والرغبة الشديدة في الاعتراف المتكافئ الايسموثيميا لا تتضاءل بالضرورة مع تحقيق قدر أكبر من المساواة الفعلية والرخاء المادي بل ربما نجد ذلك حافزا لها"**[3]، في اعتبار فوكوياما الديمقراطية أن نيل الاعتراف والتقدير يتمثل في الدولة الليبرالية الديمقراطية حيث أن الاعتراف قائم على عدم التفريق بين الأفراد والدول أو ما يسمى بالإيسموثيميا، ونهاية التاريخ إذا هي نهاية الصراعات والتناقضات وإرساء مفهوم الإيسموثيميا.

المبحث الثالث: الإنسان الأخير عند فوكوياما "خاتم البشر"

يرجع اختلاف الرؤى الفلسفية للإنسان وتغيراتها عبر العصور بتطور الفكر الإنساني، ولتوضيح هذا الاختلاف سنقارن بين الإنسان البدائي والإنسان الحضاري **"المعاصر"** فالإنسان البدائي هو الّذي عاش في فترة ما قبل اختراع الكتابة واستخدام أبسط الأدوات في حياته اليومية كما أنّه كان يمتلك عقلا ولكن بتفكير بسيط جدا وهذا ما أدي إلى التطور التدريجي للإنسان حتّى وصل إلى ما عليه اليوم من إنسان متحضر ومتقدم يمتلك أحسن الوسائل والتقنيات المتطورة، ولكن تبلور مفهوم الإنسان من الرؤية الفلسفية الفكرية سنجده عند الفلاسفة اليونان الّذين اعتبروا أن الإنسان ذات عاقلة تمتلك القيم الأخلاقية يستخدمها مع نفسه وغيره، ومنها

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص172.

(2) المصدر نفسه، ص252.

(3) المصدر نفسه، ص257.

سنتدرج في توضيح لمفهوم الإنسان قبل فوكوياما **"الإنسان الأوّل"** للوصول إلى خاتم البشر، فماذا يقصد فوكوياما بخاتم البشر في نهاية التاريخ؟

1- الوجود الإنساني بين المفهوم والواقع قبل فوكوياما:

يعتبر الإنسان هو الكائن الوحيد الّذي خصه الله بالعقل والقدرة على التفكير والتطور من خلال استعماله له، لذلك نجد أن الفلسفة في جميع مباحثها تلقي الضوء على الإنسان وفهمه وتشخيص سلوكه الأخلاقي في الجانب الاجتماعي والسياسي، لذلك سنأخذ أرسطو كبداية للفهم البسيط للإنسان لأنّه يعتبر من أكثر الفلاسفة اليونان الّذين اهتموا بالطبيعة البشرية **"إذا أرسطو جعل الطبيعة الإنسانية محور بحثه لذا فالأخلاق لديه تعني أن يستطيع إظهار مكانته وميوله الطبيعية، والإنسان بوصفه كائن مركب من عقل رحيم وبالتالي هو مهيأ للحياة المشتركة مع أمثاله من بني الإنسانية".**[1]

ويذهب فوكوياما إلى تحديد للإنسان الأوّل بالرجوع إلى مجموعة من الفلاسفة ليعطونا الأبعاد التي يتمحور عليها وجود الإنسان الأوّل ويرتكز على فلاسفة العقد الاجتماعي، ومن بينهم هوبز الّذي ينطلق من الحالة الطبيعية ليوضح الهدف والغاية للإنسان في العالم: **"نرى أن الحق الطبيعي لكل إنسان في الحفاظ على بقائه يوفر له في استخدام كافة الوسائل التي يراها ضرورية لتحقيق هذا الغرض بما في ذلك اللجوء إلى العنف"**[2]، ولهذا ففوكوياما يعتبر أن الإنسان الأوّل هدفه الوحيد هو حفظ البقاء الّذي يستخدم من أجله كلّ الأغراض والتي تؤدي إلى الحروب على عكس الإنسان اليوم الّذي يمتلك الوعي الكبير في ظل وجود الدولة والبحث عن العدل والمساواة وتوفير أحسن حياة للأفراد وأكثر رفاهية بتحقيق وجوده وكيانه ولهذا يمكننا أن نحدد القصد الفوكوياميي للإنسان الأخير في أنّه الإنسان الّذي يسعى إلى الحفاظ على حياته في المجتمعات البشرية.

2- أصل خاتم البشر: الرجل السوبرمان عند نيتشه

نادى نيتشه بالتفوق البشري وفلسفته كلها تقوم على إرادة القوة وتحقيق الذات، وفكره قائم على الفردية والتفوق الّذي يصنع الإنسان الأعلى الّذي تقوم حياته كلها وحياة الإنسانية على الإرادة والقوة، ويعتبر هذا الشّخص هو الفرد الفاعل في العالم: **"وليس الفرد إذا في نظريته هذا الشّخص المنفرد المنعزل عن تطور الإنسانية وإنّما هو الفرد الّذي تحيا فيه الإنسانية"**[3]، ولهذا فإنّ نيتشه يختزل العالم كله في الرجل الأعلى

---

(1) محمد الحبو: الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان أرسطو نموذجا، ط1، دار دمشق، 1993، ص04.

(2) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ص145.

(3) عبد الرحمن بدوي: خلافة الفكر الأوربي سلسلة الفلسفة نيتشه، ط5، الناشر وكالة الكويت، 1975، ص38.

السوبرمان الّذي يمتلك إرادة القوة وبتفوقه عن بقية النّاس، وهذا ما يصنع وجوده وهذا في **"العالم هـــو إرادة القوة ولا شيء غير ذلك وأنتم أنفسكم أيضا تكونون إرادة القوة هذه ولا شيء غير ذلك"**[1]، كما نجـــد نيتشه في تصوره للإنسان الأعلى والرقي الّذي يمتلك حقق التفوق في العالم من خلال إرادة القوة ويتجسد في كتابه هكذا تكلم زرادشت**"إلا الإرادة مبدعة هذا وتعليمي وعلى الإنسان أن يتعلم ليبدع"**[2]، ولهذا اعتبر الإرادة بمثابة إبداع وعلى الإنسان أن يصل إلى أن يكون الرجل الأعلى أن يتعلم ويبـــدع في صـــنع إرادتـــه ويذهب فوكوياما على اعتبار أن نيتشه **"كان يرى أنّه ما من سمو لوجوده عظمة أو أي نبل إنساني ممكن أن تولد الأمن رغبة العظمة الأنوية أي من رغبة الاعتراف بالتفوق على الآخرين"**[3]، فنه هنا يمكن أن نعتبر أن نيتشه إنسان يحدد نفسه عن طريق الحرية والتي تتجسد عن طريق السمو أي أن الرجل الأعلى يتبنى الميجالوثيما أي تحقيق رغبة الاعتراف بالتفوق، فالإنسان الأخير يتميز على غيره بإرادة القوة والتفوق على غيره فيصـــبح الرجل الأعلى أو السوبرمان عند نيتشه.

3- خاتم البشر عند فوكوياما "الإنسان الأخير":

كما سبق لنا ووصفنا أن فكرة الإنسان الأخير لفوكوياما مستوحاة من فلسفة نيتشـــه مـــن فكـــرة الإنسان المتفوق والمبدع والذي تشاركه في محور فلسفته وفكره وخاصة في كتابه **"هكذا تكلم زرادشـــت"** ولهذا نجد في مقدمة الكتاب فوكوياما فكرة أساسية تقوم على توضيح أو الهدف الأساسي الّذي يريد فوكوياما الوصول إليه وهو نقول "نهاية التاريخ" والمخلوق الّذي سيظهر في نهاية المطاف وهو خاتم البشر.

ويرتكز فوكوياما لصنع معادلة تقوم على ثلاثة أقسام للوصول إلى خاتم البشر، وفي توضيحه لـــذلك يرجع إلى أفلاطون وتحديده للفضائل: **"لقد ذهب أفلاطون إلى أنّه في حين نجد الثيموس أساســـا للفضـــائل وهي في حد ذاتها لا هي خير ولا هي بالشر وإنّما ينبغي ترويضها حتّى تخدم الصالح العام وبعبارة أخـــرى فإنّه من الواجب أن يتحكم العقل في الثيموس"**[4]، فهنا نجد أن فوكوياما باستناده لأفلاطون أراد أن يتوصل إلى فكرة مضمونها أن الفضائل تروض لخدمة الدولة عن طريق العقل الّذي سيصنع لنا القوة ويحقق التعايش بين الأفراد داخل الدولة، وهنا يمكننا أن نلاحظ أن هدف فوكوياما من طرحه هذا هو أن الفضائل لا تتحدد عن طريق الجانب الأخلاقي أو الروحي "الديني" بل عن طريق العقل، الّذي يعطينا فرصة تحقيق أكبر قـــدر مـــن

---

(1) جون ليتشه: خمسون مفكر أساسا معاصر من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، مراجعة محمد بـــدوي، ط1، المنظمـــة العربيـــة للترجمة، بيروت، ص441.

(2) فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، (د.ط)، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية، 1937، ص175.

(3) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص282.

(4) المصدر نفسه، ص259.

التجانس داخل الدولة، وهذا ما تؤكده العولمة اليوم ويرتبط الثيموس بالنظام السياسي، حيث يرى أن النظام الليبرالي هو الّذي يحقق لنا رغبات الإنسان العادلة في الاعتراف بكرامتهم، ويمثل التيموس ولهذا يمكن أن نوضح التقارب الّذي ذهب إليه فوكوياما استنادا لقوى النفس الثلاثة التي تتمثل في عقل الإنسان، الرغبة والثموسية في المخطط التالي:

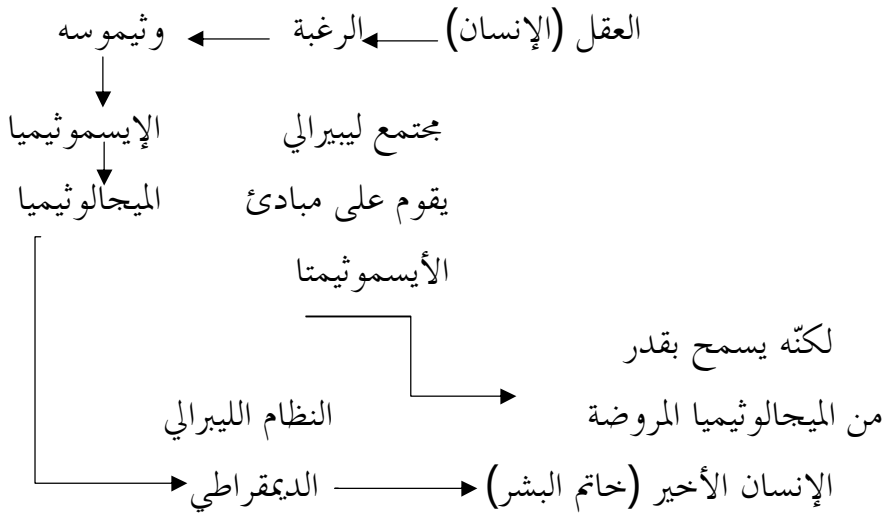

وهذا ما أراد فوكوياما تأكيده في أن الليبرالية هي التي تحقق هذه الأقسام الثالثة: العقل، والرغبة، وتيموسية على عكس الأنظمة الأخرى.

أما في الجانب الأخلاقي لخاتم البشر لم يخطئ بقدر كبير لأنّ **"لهذا فإنّ خاتم البشر سيشتغل قبل كلّ شيء بصحته وأمنه الشّخصي"**[1]، لهذا فإنّ فوكوياما يعتبر أنّ خاتم البشر لا يهتم بقدر كبير بالجانب الأخلاقي بل بتحقيق الأمان والعيش الرغد وهذا لأنّه ألبش الإنسان الجانب المادي حيث استند إلى رأي هيغل في تنبأه بالإنسان الأخير: **"هيغل بدوره أدرك التحول الأساسي المستجد في الحياة ويتمثل في تهجين* السيد وتحوله إلى إنسان اقتصادي"**[2]، وهنا يضيف فوكوياما صفة الإنسان الأخير ذات الصنع الاقتصادي المادي في إطار الحضارة الليبرالية الديمقراطية الرأسمالية وتعظيم الغرب وأفراد ونجد هذا التفاوت نابع من إيمانهم بالتفوق وتجسيد أعلى مدى ثقة بالنفس ومحاولة التفوق على الآخر فنجد كارل بوبر في محاولة توضيح ما يؤمن به

---

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص266.

* تهجين: هي عملية يقوم بها الإنسان على مجموعة من النباتات والحيوانات متأقلمة ومنسجمة مع الإنسان والبيئة وتتم هذه العلمية عن طريق الترويض والتعويد والإخضاع والتدريب بالنسبة للحيوانات.

[2] المصدر نفسه، ص306.

الغرب يقول: **"أما حقيقة أننا في الغرب نريد السلام والحرية وأننا جميعا مستعدون لأن نبذل أكبر التضحيات من أجلها".**[1]

انطلاقا من الخلفية الغربية، التي تتميز دائما بخاصية التعالي وتضخيم الأنا، والاعتقاد بالتفرد في المعرفة والفكر عن باقي دول الأنا، ومحاولة في نشر هذا الفكر واعتباره المصدر الرئيسي والنهائي الذي يجيب أن سير عليه الأنا، فهذا الاعتقاد تكون منذ وجود الفلسفة اليونانية على أرض الواقع حتى يومنا هذا من خلال تعاقب المراحل التاريخية، والتي تحتوي على فكرة أساسية أن المجتمع الغربي في سلوكه وتفكيره وعقله ونظمه يشكل أفضل الأنظمة نجاحا على وجه الأرض، ويعود هذا رغم الانتقادات الموجهة إليها دائما يتمسك بفكرة التفوق والقدرة على تحقيق أي شيء يهدف إليه نتيجة إيمانه بأنه يظفر بأفضل الإمكانيات العقلية وأحسن المناهج العليمة وأفضل النظم السياسية، وهذا ما يؤكده ويسعى لتحقيقه فرانسيس فوكوياما في نظرية نهاية التاريخ.

نستنتج مما سبق أهم النقاط التي ارتكزا عليها فوكوياما في بناء أطروحته **"نهاية التاريخ"** وذلك عن طريق تحديده لغاية التاريخ، وأهم التحولات التي صنعت الحدث حيث أدت إلى استقرار العالم على حالة واحدة ذات تيار اقتصادي وسياسي واحد، والذي يعتبره فوكوياما نهاية التاريخ حيث ذهب إلى تفسير المسار التاريخي في حصره في نقطتين أساسيتين: تطور العلوم الحديثة وبروز الجانب الاقتصادي كآلية جديدة تصنع كل أحداث اليوم والمستقبل، وهذان الآخران يحققان رؤية واحدة نحو نظام ليبرالي يمثل أفضل الأنظمة كما أن فوكوياما يذكر السبب الرئيسي الذي يتحكم في غاية التاريخ، المتمثل في نيل الاعتراف وتقدير الذي يدفع الإنسان إلي فعل أي شيء لظفر بهذا الاعتراف، كما انه قسما هذا الأخير إلي نوعين الأول نيل الاعتراف بالتساوي مع الآخرين، أما النوع الثاني فهو نيل الاعتراف بالتفوق والسيطرة علي الآخرين، وهذا ما يظهر في منطق فوكوياما، حيث يؤيد النوع الأخير من الاعتراف لكونه يمثل نهاية التاريخ من منطلقها الخفي، ويربط كل هذه الأحداث وتحولات بفكرة مفادها الوصول إلى الإنسان الأخير، الذي اعتبره "فرد مادي" بشكل أساسي، حيث يجمع بين الجانب الاقتصادي وسياسي لتحقيق أفضل معيشة وهذا ما سيوجد في نهاية التاريخ الذي تمثله الديمقراطية الليبرالية والاقتصاد الليبرالي.

---

[1] كارل بوبر: بحثا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999، ص260.

الفصل الثالث

نهاية التاريخ عند فوكوياما كنظرية سياسية

المبحث الأوّل: نظريّة نهاية التاريخ بين السياسة والأخلاق

المبحث الثاني: نظريّة فوكوياما بين الهزيمة والانتصار

المبحث الثالث: رؤيّة السياسة التاريخيّة وآثارها على العالم

الفصل الثالث: نهاية التاريخ عند فوكوياما كنظرية سياسية

إنّ تناول إشكالية **"نهاية التاريخ"** تعد محور أساس ونقطة رئيسية في الوجود الفلسفي على اختلاف الغاية المنشودة منها، فجميع الفلاسفة عبر التاريخ بتحديدهم لمصطلح نهاية التاريخ لا يقصدون نهاية التاريخ الإنساني أو العالم لكن نهاية تطور أو سقوط دولة وإيديولوجية، ظهور مصدر آخر يقوم على قوة وهيمنة التي يتمثل في حضارة معينة والتي بدورها تكون رائدة تحمل مشعل النصر والتفوق وينتهي عندها التاريخ، ولهذا فإنّ جل الأحداث والتحولات التاريخية ترتبط وتأسيس من خلال الفكر السياسي، ومنه فإنّ تناولنا للعرض التاريخي **"لنهاية التاريخ"** في الفصل الأوّل والثاني والمتمثل في الأفكار التي قامت عليها نظرية نهاية التاريخ ومبادئها وأسسها ومرجعياتها يحولنا إلى رؤي أخرى تلزمنا بالبحث عن الحقيقة المضمرة تهدف إلى تجسيد مقاصد وغاية داخل النظام العالمي الجديد، وفكرة الديمقراطية الحرية والعولمة كلها تهدف إلى رسم معالم السيطرة والتفوق واعتبار أمريكا كقطب رئيسي في المجالين السياسي والاقتصادي، فأصبحت لنهاية التاريخ أبعاد أكبر من أنّنا يمكننا أن نصفها كنظرية في فلسفة التاريخ لهذا فإنّنا بتتبع الحقائق والأحداث التي تولدت وجاءت في رحم هذه النظرية والتي تساعدنا بإعطاء منحى جديد لنهاية التاريخ، إلى أي حد يمكننا اعتبار نظرية نهاية التاريخ تأسيس إلى أفكار إيديولوجية وسياسية لنظام معين؟ ولذلك يجب علينا أن نستعمل قدرة إدراك الأمور وتحليل الأحداث والمواقف وربطها مع بعض ومحاولة منا للوصول إلى نتيجة.

المبحث الأوّل: نظرية نهاية التاريخ بين السياسة والأخلاق

1- نهاية التاريخ والسياسة:

يمكننا الانطلاق من التداخل الموجود بين التاريخ والسياسة حيث نعتبر أن التاريخ هو سرد وتحليل الأحداث والأفكار ولهذا فسياسة جزء من الدراسة التاريخية، ويصطلح عليها بالتاريخ السياسة والتي تتناول الحركات والقادة والسياسيين والعلاقات الداخلية والخارجية ودراسة نظام الحكم وتصنيف الاتجاهات والإيديولوجيات التي تعبر عن توجه الدولة، ومن هذه العلاقة سننطلق في محاولة لتحليل النظرية ومقاصدها والحقيقة في خلال التداخل المذكور أعلاه.

وإذا لاحظنا أن فوكوياما في نهاية، التاريخ دائما يعطي أفكار ويحددها على أنّها حقيقة موجودة وأهم نقطة يمكن التمثيل بها هي ما يصل إليه العالم في نهاية أليس هذه معادلة سياسية يتم نشرها تتمثل في أن النظام الليبرالي تحت شعار الديمقراطية هو أحسن النظم عبر التاريخ، ومنذ وجود الحكم ولا يوجد نظام يمكن أن ينافيه أو يصل إلى ما توصل إليه هذا النظام، ويمكننا أن ندرك في إعادة لقراءة فوكوياما وجود المركزية الغربية

وخدمة النظام الداخلي الإيديولوجي الأمريكي كما أنّنا نجد بعض الفلاسفة يدركون حقيقة الاهتمام وارتباط التاريخ بالسياسة ففولتير في كتابه رسائل فلسفية **"يعتبر علم التاريخ هو المنبع استلهام العبر وتفادي أخطاء الماضي على أساسه ينظر لسياسة حيث توجهت الأنظمة شيئا فشيئا نحو الديمقراطية"**[1] ولهذا فتمرير الأفكار السياسية ومحاولة لتأسيس أفكار من خلال نزعة التاريخية إلى حد ما هذا ماورده فوكوياما ولكن بعد الصدى الّذي أثاره كتاب نهاية التاريخ والإنسان الأخير في الولايات المتحدة الأمريكية والعالم بأسره، وترجمته إلى العديد من اللغات وتعرضه للانتقادات المدمرة من خلال تناوله مصطلح نهاية التاريخ في مقاله فيوضح الفهم الخطأ لمقصد نهاية التاريخ في بداية كتابه بحيث يقر ويصر أن القصد منها هي نهاية الإيديولوجية التي تتمثل في النظام الديمقراطي الليبرالي، وهذا التصريح وحده يمثل الاتجاه السياسي لفوكوياما فتاريخ والانسانية والإيديولوجية كلها تنقضي في الليبرالية الّذي يعتبره النظام العالمي ولهذا فمسار التاريخ يحقق غايته في هذا النظام، ويمكننا الرجوع إلى كلّ من هيغل وكارل ماركس في طرحهما لنهاية التاريخ ولهذا برجوع فوكوياما واعتماده على الهيغيلية لتحقيق غايته لاعتبار أن هيغل يمثل القوة والنزعة العنصرية التي تتمثل في تضخيم الأنا الأوربية، وهذا الأخير الّذي يقرر بشكل أو بغيره التفوق الحضاري بين شعوب الغرب والشرق ويذهب إلى أبعد من ذلك في تقسيمه إلى مراحل التاريخ العالمي ويعتبر العالم الجرماني هو آخر مرحلة يمكن أن توصل إليها وهي مرحلة الشيخوخة **"إذا كانت الشيخوخة في الطبيعة تعني الضعف والهرم، فإنّ شيخوخة الروح تعني نضجها وقوتها الكاملة التي تعود فيها إلى الوحدة مع نفسها"**[2] ولهذا فإنّ ربط فوكوياما النظام الأمريكي والفرد الأمريكي بمعنى السيادة لنظام والثقافة الليبرالية العالمية التي ينتهي عندها التاريخ من خلال النظرة الهيغلية للنظام* الجرماني والفرد المتفوق ومن ثما فتاريخ انتهى بالنسبة له وقد حقق مبتغاه بفضل النظام الديمقراطي الليبرالي.

ونجد أن العالم الغربي أصبح مركز العالم و لم تنقله من الاستعمار إلى فرض السيطرة من خلال مواثيق وقوانين دولية يسيطر النظام الليبرالي وهذا ما تهدف إليه الحضارة الغربية اليوم **"جميع العالم الإنساني كله في مجتمع كبير واحد، والسيطرة على كلّ شيء فوق الأرض حتّى البحار والأجواء التي ستصل إليها الإنسانية عن طريق الغرب الحديث"**[3] لهذا فحركة التاريخ وتقدمها في سير نحو الوعي بالنظام الليبرالي يقوم على

---

[1] فولتير: رسائل فلسفية، ترجمة عادل زعيتر، دمشق، ص181.

[2] هيغل: العقل في التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، ج2، ص194.

* مقصود به مجموعة من الأجناس الأوربية هي ألمانيا النمسا وسويسرا وهولندا بلجيكا والدانمارك، وإيسلندا والسويد والنرويج.

[3] أرنولد توينبي: الإسلام والغرب والمستقبل، ترجمة نبيل صبحي، الدار العربية، بيروت، 1969، ص36.

سياسة وإيديولوجيا واحدة وهذا ما أعطى القوة للنجاح الغرب سواء في توليدهم لنظريات أو في محاولة لتطبيق هذه النظريات قائم على قدرتهم وإيمانهم بالنجاح والتفوق، حتّى إذا وجد الفشل يعتبرونه نقطة تحاول تمنحهم القوة في محاولة لتأسيس إلى نجاح أفضل وهذا ما ذهب إليه فوكوياما بعض ظهور أحداث مختلفة التي أكده سقوط نظرية نهاية التاريخ لكنّه ظل يدافع عنها ويعللها، وهذا ما سنوضح لاحقا، وكما نجد أن فوكوياما في تركيزه على الإيديولوجيا كأساس لتأثير الدولي والعالمي **"لأنّ الإيديولوجيات هي بلا منازع واحد من القوى المؤثرة في العالم المعاصر"**[1] وهذا الاعتبار الإيديولوجي في محاولة لجعل عالمنا المعاصر ينتمي إلى نظام السياسي والاقتصادي موحد وعالمي فيصبح للعالم تاريخ واحد وحضارة من صنع غربي، والتي غايتها الحد من الصراعات السياسية والاختلافات الإيديولوجية وهنا تتجسد نهاية التاريخ والتي لا يقصد بها نهاية كلّ الأحداث العظيمة التاريخية بل يقصد هي نهاية التطور الفكري السياسي البشري في العالم، ولهذا نستنتج أن فوكوياما تعامل مع التاريخ من هدف واحد وهو صياغة رأيه وأفكاره وتوقعاته للمستقبل واستعمل فلسفة التاريخ ليس كمفهوم تقليدي بل كمفهوم يصنع المستقبل.

وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك في اعتبار أن التاريخ والسياسة واحد سنجد من يشاطرنا الرأي حيث أن المعرفة التاريخية بدورها تسهل علينا تحليل الأحداث السياسية والعلاقات الدولية وهنا نجد الامتزاج بين التاريخ والنظرية السياسية **"التاريخ مدرسة لتعليم طريقة البحث فالتاريخ سياسة الماضي والسياسة تاريخ الحاضر والفرق بينهما أن التاريخ بارد والسياسة حارة حرارة الأحداث الجارية"** [2] وما يدفعنا لنقول أن السياسة وليدة التاريخ لاعتبار أن التاريخ مدرسة سياسية تمنح سمة أساسية وجوهرية لبناء مستقبل أفضل وهذا ما أراد إثباته فوكوياما وهنالك من يربط بين السياسة والتاريخ كأساس واحد وموضوع ومنهج واحد **"إنّ مشروع إنشاء علم للسياسة والتاريخ يفترض أوّلا أن السياسة والتاريخ يمكن أن يكونا موضوعا للعلم"**[3] فاعتبار العملية التاريخية قائمة على أساس جمع المادة العلمية والتي توصلنا إلى العوامل المؤثرة في حركة التاريخية، ونجد بينها الأحداث السياسية التي تصنع حياة الأمم والحضارات ولهذا فدراسة التاريخ كوحدة متماسكة تحتوي على جانب سياسي.

---

[1] عبد الخالق عبد الله: العالم والمعاصر والصراعات الدولية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص18.

[2] هرنسو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي سلسلة المعارف العامة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1927، ص163- 165.

[3] لوي ألتوسير مونتسكو: السياسة والتاريخ، ترجمة نادر ذكرى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2006، ص10.

ولهذا نجد الوعي الفكري والنضج وقدرة فوكوياما في مزج بين الجانب التاريخي والسياسي ليحمل لنا رسالة سياسية، المراد منها تحقيق الغرض الّذي يرمي إليه وهو نشر الديمقراطية وجعلها نظام عالمي وأحسن النظم في العالم، فتظهر لنا نظرية في فلسفة التاريخ ولكن توجيها وهدفها أبعد من ذلك وهذا ما يؤكده مصطفى النشار **"وإن كان الاهتمام بالسياسة لا ينفصل بلا شك عن الاهتمام بفلسفة التاريخ فلا سبيل إلى الواقع ومعرفة التطورات السياسية"**[1] وهذا التداخل بين ما هو تاريخي وسياسي يساعد العديد من المفكرين والسياسيين تمرير أفكارهم ومعتقداتهم، على أساس أن الحضارات الإنسانية والتاريخ يسير وفق مسار واحد وهذا يلزمنا بضرورة لوجود فكر واحد وعالمي يجمع كلّ الحضارات، وهذا ما تبنه فوكوياما في نشره لنظريته. فهل وفيق فوكوياما في تحقيق أهدافه؟ و جعل الفكر الإنساني العالمي يتقبل نظريته في تفسير تحولات واعتبار نهاية التاريخ أبعد نقطة يمكن أن يصل إليها العالم؟ وهل استطاعة هذه النظرية لتأثير على العالم؟

2- الانتقال من نهاية التاريخ إلى نهاية الإنسان:

إذا كان من المسلم به أن الفلسفة ذات صلة قوية بالظروف التاريخية وسواء كانت اجتماعية أو اقتصادية فإنّ الفلسفة السياسية تبرز حقيقة هذا الرأي من خلال ارتباطها بفلسفة الأخلاق وعلى هذا الضوء يمكننا وضع نظرية **"نهاية التاريخ"** في حيز الانتقال والتطور بين ثلاثية التاريخ، والسياسة، والأخلاق ولكن هذا التطور يبنى على أرضية واحدة تدافع عن مرتكزات النظرية السياسية التي يرتكز عليها النظام الرأسمالي، الآن الفكر السياسي ليس سواء انعكاس للواقع الّذي يمثل الحقائق ويعكسها على الفلسفة السياسية، وهذا ما يبرز تغيير تصور فوكوياما في ظل مستجدات اليوم واهتمام المفكرين بطابع القيمي في محاولة لإنقاض المجال السياسي من خلال المبادئ الأخلاقية واحترام الإنسانية في محاولة لتوفيق بين مطالب الحياة الأخلاقية والحياة السياسية.

إنّ التطور التكنولوجي والعلم أحدث تغيرات جوهرية في العالم العديد من الآثار السيئة التي ساهمت تغير المفاهيم التقليدية لعالم الاجتماع والسياسة، ومحاولة منهم على إلقاء الضوء وتتبع الآثار السلبية التي صنعها التقدم العلمي البيولوجي والتقني حيث أصبح العالم المعاصر يلقى الاهتمام على ووضع الإنسان، اليوم وارتباطه بالتحولات الكبرى وهذا ما دعا فوكوياما لطرح دراسة جديدة توضح ارتباط هذا التحول بنهاية التاريخ حيث ذهب إلى توجيه التطور التقني للحفاظ على مستقبل أفضل لكي لا تصبح التقنية سيدة على الإنسان وكما يشير في كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير إلى أن تطور العلم والتقنية يؤثر في مسار التاريخ ويسير على

[1] مصطفى النشار: الحضارة جدل الأنا والآخر نحو بناء حضارة إنسانية واحدة، ط2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2015، ص15.

نحو طريق الديمقراطية الليبرالية ولكن سرعان ما غير رأيه حيث يرى **"أن مفهوم نهاية التاريخ لا يمكن أن تتحدد إلا وفقط مع تلازم مها ونهاية العلم والتكنولوجيا الحديثة والتفهم الأعمق للمخ البشري والطبيعة الإنسانية لهم نتائج سياسية وأخلاقية غاية الأهمية".**[1]

ويرى فوكوياما ضرورة التحذير من عواقب التكنولوجية كالاستنساخ بحوث الخلايا الجذعية وهندسة الخط الجرثومي وتداعيتها حول تغيير الطبيعة الإنسانية ومن ثمة أدى إلى تغيير القواعد والمنظومات الفكرية والثقافية والأخلاقية وأبعد من ذلك تحديات سياسية ويعتقد **"أن القرارات السياسية التي سنتخذها خلال السنوات القادمة القليلة فيما يتعلق بعلاقتنا بهذه التقنية هي التي ستحدد إن كنا سندلف إلى مستقبل بعد يسرنا من عدمه وستحدد كذلك الهوة الأخلاقية المحتملة إلى يفتحها هذا المستقبل أمامنا".**[2]

والسبب الرئيسي لتناول فوكوياما هذا الطرح تكوين فكرة تصنع علاقة بين نظريته ومشاكل العالمية أكثر تداول كميا يعتبر أن الواقع الجديد يمثل خطر على حياتنا وهذا الخطر يتمثل في ظهور إنسان جديد يشكل خطر على الإنسان **"الإنسان المستنسخ"** وهذا تنبأ بإنسان جديد الّذي يخشى فوكوياما أن يقضي علينا صنع الحدث في أمريكا حيث أراد فوكوياما إثارة تحدي جديد للفرد الأمريكي يعكس قيم جديدة بصورة أفضل لتحقيق أغراض سياسية واقتصادية، ولهذا إلزاما على المجتمع الغربي أن يتحرك اتجاه استدراك ما فاته محاولة منه في تطور نفسه وامتلاك معرفة تنقذه من هذا الخطر، ولهذا نادى فرانسيس فوكوياما بربط العلم والتقنية بالجانب الأخلاقي معتبرا أن هذا الأخير تهدد الوجود الإنساني، ولكن هل فوكوياما في طرحها هذا كان ذاتي أو موضوعي لأنّ هدفه الرئيسي هو الحد من انتشار العلم والتقنية في البلدان التي يعتبرها تمثل خطر بنسبة له وتطبيق ممارستها التقنية والحد من التطور التقني خاصة في المجال العسكري **"إنّ النيوتكنولوجيا لا تشكل تهديدا مباشرا قويا مثلما تفعل الأسلحة النووية، قنبلة نووية واحدة في أيدي جماعة إرهابية أو دولة شريرة كالعراق ستشكل خطرا كبير على العالم"**[3] وهذا ما يعكس الممارسات السياسية في كلّ من أطروحة فوكوياما فنوايا الغربية تحاول أن تخلق لها دائما عدوا يمثل لها خطرا يحول إلى الدفاع عن نفسها والحفاظ على حضارتها الغربية، و لم تجد عدوا أحسن من الإسلام لاعتبار أنّه يحمل الحقد والكره للمجتمعات الليبرالية والغرب نتيجة فشل الإسلام إلى الوصول إلى محققة الغرب من نجاح اقتصادي وسياسي.

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة أحمد مستجير، ط1، إصدارات سطور، 2002، ص195- 190.

(2) فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2006، ص29.

(3) فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية، ص262.

ولهذا فبرمجة الفرد الغربي والأمريكي على هذا الفرضية للفهم العالم والمجتمعات من خلال تأثرهم بجدلية السيد والعبد لنيتشه وامتلاك كلّ وسائل التفوق وقدرتها على مقاومة على أي خطر يمكن أن يهددها سواء كان تهديد سياسي أو اقتصادي.

المبحث الثاني: نظرية فوكوياما بين الهزيمة والانتصار

1- التحولات الكبرى لنهاية التاريخ:

إذا كانت المنطلقات الفكرية الإيديولوجية والتاريخية التي عرضنها هي الأساس لفكرة نهاية التاريخ الّذي أقام عليها فرانسيس فوكوياما نظريته لتوسيع النفوذ السياسي والاقتصادي لتدعيم المركزية العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، ولهذا فإنّ التنظير الفكري الّذي أراده فوكوياما لتغيير موازين القوى في العالم ونشر فكرة نهاية التاريخ ودخولها معترك الأحداث السياسية على الصعيد الدولي، حيث تعد نظريته تطوير للبعد السياسية وإنجاز يحسب له في فلسفة السياسة المعاصرة، ولهذا يمكننا أن نعتبر النظرية سياسية أكثر منها تنظير لفلسفة التاريخ.

وكما هو معروف أن أي نظرية في ظل الركود الفكري منه وجود المعرفة على وجه الأرض نتعرض إلى تأييد والانتقاد أما في مفاهيم الأساسية أو في مضمونها ومدى تطابق المشروع الفكري مع الواقع، ومن هنا نستطيع أن نتساءل: هل استطاع فرانسيس فوكوياما الوصول إلى غاية في فكرة نهاية التاريخ؟ وما هي أهم الأحداث التي ساهمت في اعتبار نظريته فكرة صحيحة أم خطأ؟ ولهذا سنتتبع مسار الأحداث التي تالت نظرية فوكوياما من خلال العلاقات الغرب مع القوى الكبرى والشعوب والدول الأخرى.

إنّ تزامن فوكوياما مرحلة القوة والهيمنة التي انفردت بها الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة سقوط الاتحاد السوفييت وانهيار الأنظمة الاشتراكية والأحادية القطبية للعالم وتكريس النموذج الأمريكي أمركة العالم **"وقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في وضع دولي عبر عنه كروتمر Krouthmer وهو أحد المحافظين الجدد أنّه انعطاف حاسم في تاريخ لم يشهد له مثيل"**[1]، وهذا يعني أن نهاية الصراع بين المعسكرين وصلت إلى آخرها بفوز النظام الليبرالي وزوال منافسها الأبرز واعتبارها أفضل الأنظمة لأنّها ألحقت الهزيمة وانتصرت على نظام الّذي كان ينافسها.

وبعد هذا الانتصار الّذي حققته نظرية باعتبار الرأسمالية والديمقراطية هي من تقود العالم وانتشار الواسع لها الّذي يمثل نهاية للتاريخ، ولكن هناك من يتبنى العكس لهذا الطرح **"إنّ انقضاء مواجهة الحرب الباردة وتراجع**

(1) هادي قيسي: السياسة الخارجية الأمريكية بين الواقعية الجديدة، ط1، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2008، ص25.

تهديداتها وأخطارها لا يعني انتهاء الأحداث والتطورات التي تشكل تحديات جديدة وتولد أوضاع تحمل في طياتها أخطار متجددة".[1]

ولهذا فإنّ الأحداث التي تولت بعد الطرح الفوكوياميي تسقط نظريته وتجعلها نسبية لا كما يعتبرها هو تعميمية وحتمية، ومن أبرز الأحداث: احتلال العراق للكويت في 1990 الّذي أحدث تغيرات في نظر العالم الغربي بعد اعتبار هذه الدول ضعيف ولا تمتلك أي قوة لصنع وتغيير المسار التاريخي وهذه الدول ضربة تسفع فوكوياما.

وفي عام 1991 شنت الولايات المتحدة حربا على العراق بسبب غزوه جارته الكويت[2] فشنت الولايات المتحدة حربا مع حلفائها ضد العراق لتحرير الكويت كما زعمت ولكن الاستراتيجية الأمريكية كانت تخطط لها من قبل ومررت أهدافها الخفية بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل العراقية وحد منها، لأنّ الهدف الرئيسي للولايات المتحدة هو تدمير القوة العسكرية العراقية والسيطرة على النفط العراقي وذلك لإنهاء عبارة أن العراق تشكل لها خطرا ولهذا استعملت جميع الوسائل للقضاء عليها.

وفي لقاء فوكوياما يؤكد على ان الغزو للعراق من قبل الو.م.أ كان خطأ لأنّه يعتقد أو يؤكد أن أمريكا استعملت الديمقراطية كمبرر لاحتلال العراق، ولكن الخوف الحقيقي هو من القوة التي وصل إليها صدام حسين على جيرانه وغيره وهذا هو السبب الحقيقي لاحتلال العراق.[3]

وبهذا الاعتراف يثبت فوكوياما سقوط نظريته باعتبار أن العراق كانت ستشكل تحولات كبرى، إذا ما تصدت لها و.م.أ وقوة يمكنها قلب الموازين وبناء نظام جديد، يقوم على نظرية إسلامية ذات مقومات عربية تستطيع منافسة النظام الليبرالي وهذا هو التفوق الرئيسي لو.م.أ عامة وفوكوياما خاصة.

إنّ الولايات المتحدة ستحكم العالم بالقوة، وإذا ما إذا ظهرت أي تحد لهيمنتها، سواء كان ذلك بعد حين أم متخلفا أم متصورا أم أي شيء فإنّه يحق للولايات المتحدة تدمير ذلك التحدي قبل أن يصبح تهديدا، أو تلك حرب وقائية لا حرب استباقية[4]، ولهذا فإنّ غزو العراق كان قائم على اختبار قوي والولايات المتحدة وإيصال للعالم بأسره مدى قدرتها على القضاء على أي قوة تهدد كيانها ووجودها كقوة عالمية.

وبعد أحداث **11** سبتمبر **2001** برزت أمريكا كقوة وحيدة للنظام الدولي، فقد أضيف مبدأ جديد لمبادئها التقليدية التي هي منطلقات للسياسة الخارجية ألا وهو مبدأ الحرب على الإرهاب، وهو مبدأ مرتبط

---

(1) أمين شبلي: من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص41.

(2) غرس هالسل: يد الله، ترجمة محمد السماك، ط2، دار الشروق، 2002، ص88.

(3) قناة الجزيرة الفضائية برنامج من واشنطن 2005/01/06 لقاء مع الكاتب فرانسيس فوكوياما رؤية حول السياسة الخارجية الأمريكية.

(4) نعوم تشومسكي: طموحات أمبريالية أجرى المقابلات ديفيد برساميان، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص10.

بكثير بمبدأ سابق وهو محاربة الديكتاتورية في العالم غير أنّه ليس محدد في أنظمة فقط أو دول بما يسمى محور الشر.[1]

وهدف الاستراتيجي و.م.أ يتمثل في تغيير الأنظمة الديكتاتورية التي تدعم الإرهاب بشكل مباشر أو التي يتمثل وجودها دعما غير مباشر للإرهاب، من خلال عدائها للحرية والديمقراطية مثل العراق، إيران، كوريا الشمالية أو ما يسمى بمحور الشر، ولهذا فإنّ أحداث **11** سبتمبر **2001** شكلت صدمة لدى الأمريكيين فأصبح الإرهاب الدولي الّذي يقوده تنظيم القاعدة هو التحدي الأبرز لأمنها واستقرار دولتها والاعتبار الإرهاب العدو الأول و.م.أ وإصدار قرار يحزم محاربتهم، ولكن الحرب على الإرهاب هي في حقيقة الأمر حرب على الإسلام لأنّه يمثل العدو الأوّل للنظام الليبرالي باعتبار الإسلام يشكل نظام قائم على مبادئ إسلامية نابعة في العقيدة الإسلامية يقوم على المبادئ الشورى لا على مبادئ الديمقراطية والحرية وهذا الرفض لنظام الأمريكي يجعلها تضع الدول الإسلامية في دائرة الخطر الّذي تشكله على نظام باستعمال مفهوم الارهاب والإسلام فوبيا، في عالمنا اليوم.

ويربط فوكوياما بين احتلال العراق والتخطيط المسبق والمحافظين الجدد في الفترة الزّمنية تزامن التطورات التي حدثت، لهذا في كتابه أمريكا على مفترق الطرق **"ينفي انتماءه للمحافظين الجدد على اعتبار أنّه أفرط في التشدد واستعمال القوة ومساهمتها بشكل أو بآخر في الحرب العراق في ظل السياسة التي كانت بإدارة جورج دبليو بوش وكثيرون من *المحافظين الجدد كانوا دعاة بارزين أقوياء للحرب، ودافعوا عن التحول في التوجه من التركيز على القاعدة إلى التركيز على العراق"**[2]، لهذا فإنّ الحرب التي شنها بوش على العراق كانت مخطط لا نتيجة رد فعل على أحداث **11** سبتمبر، ولهذا فالحرب على العراق عكست التصور الأمريكي الحقيقي للعالم القائم على استعمال القوة إن هددت مصالحها، ونجد أن و.م.أ نجحت في تدمير العراق وجعلها ساحة تمارس فيها سلطتها السياسية وتعرض فيها مدى قوتها في العراق.

وإذا أخذنا كلّ هذه الأحداث بعين الاعتبار ألا تسقط نظريتك يا فوكوياما؟ لكن فوكوياما ظل وما يزال يدافع عن نظريته حيث اعتبار أن استخدام السياسة في نظام الحكم الخطأ هو الّذي أدى إلى قلب المفاهيم واستعمال الديمقراطية كذريعة لتبرير وتحقيق أغراض مسطرة من خلال إدارة الحكم وداعي إلى تدارك هذا

---

[1] ناظم عبد الواحد الجاسور: المرجعية الفكرية للخطاب السياسي الاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، بيروت، دار النهضة العربية، 2006، ص75.

[2] فرانسيس فوكوياما: أمريكا على مفترق الطرق، ترجمة محمد محمود التوبة، ط1، مكتبة الكعيبان، 2007، ص19.

* عام 2000 قد اقترحوا جدول الأعمال للسياسة الخارجية يتضمن مفاهيم مثل تغيير الحكم والهيمنة والخبرة والقطب الواحد والاستباق والاستثنائية الأمريكية.

الخطأ من خلال الامتثال الجانب الأخلاقي **"إنّ القوة والقوة الأمريكية تحديدا ضرورية في الغالب لتحقيق أغراض أخلاقية".**[1]

ولهذا فإنّ النظام الليبرالي الّذي كان فوكوياما يحاول نشره في العالم، ويعتبره أفضل النظام بتبنيه النفعية التي تعطي الأولية للعوامل الداخلية للدولة واستقرار السياسي الداخلي، والقضاء على أي قوة يمكن أن تعتبرها بمثابة خطر عليها باستعمال جميع الوسائل المشروعة والغير مشروعة.

وبهذا يدرك العالم مدى خطورة النظام الليبرالي والوعي على مستوى الدولي بمكانة و.م.إ ومدى قدرتها مع حلفائها إلى إسقاط نظام سياسي واقتصادي يوازي ويناقض المفاهيم الرئيسية للبرالية، وهذا ما حدث في كلّ من العراق وأفغانستان لكونهما يمتلكان تواجه آخر.

2- الخطر الّذي تنبأ به فوكوياما:

وفي ظل النظام العالمي المتطور وظهور التفوق الولايات المتحدة الأمريكية من خلال القوة العسكرية والاقتصادية، وفرض سيطرتها على النظام العالمي كقوة لا يمكن حتّى التفكير في منافستها، فإيمان المطلق بقدسية هذه القوة أوقعها في خط الخطر، الّذي سيحدده فوكوياما في نقطتين جوهريتين وظهور مركبات جديدة يمكننا أن تغير المسار التاريخي وتسقط الفكر الليبرالي العالمي الّذي يمثل نهاية التاريخ أو بالأحرى ظهور مفهوم يعطي آفاق جديدة للعالم والذي تتمثل في:

1. الخلافة الإسلامية (النظام الشوري).

2. النظام الاقتصادي (عالم المال).

ولهذا سيعترف فوكوياما بتقصير النظام الليبرالي وهذا يرجع إلى إمكانية ظهور أنظمة سياسية أو عقائدية أو أنظمة ذات توجه اقتصادي تمتلك أكبر قدر من رؤوس الأموال لتهدد وتشكل مختلفة هذه الأنظمة خطر ولو بنسبة قليلة للنظام الليبرالي.

أ- الخلافة الإسلامية:

إعلان أن الليبرالية الديمقراطية ستسود العالم إلى النهاية في مقابل تلاشي الإسلام وضعفه في إحياء حضارة تستطيع مواجهة الغرب المتحضر، هذا ما أعلنه فوكوياما فهل تنبأته كانت صحيحة أم خسر الرهان واعتبار الإسلام يشكل خطرا على النظام الليبرالي الديمقراطي لما شهدته أحداث غيرة و أسقطة نظريته، ففي كتابه **"نهاية التاريخ والإنسان الأخير"** نستطيع أن نقول أنّه يصل نظرة استشراقية تعبر عن نزعته العرقية

[1] فرانسيس فوكوياما: أمريكا على مفترق الطرق، ص26.

والثقافية المتمركز حول مفهوم الذات واعتبار الغرب هو مركز العالم ورفض جميع الثقافات والمعتقدات التي يمكننا أن تشكل نظرة مستقبلية تجعل الغرب محل الشك.

"يعترف فوكوياما من ناحية بأن الإسلام يشكل عاملا بارز في بعض الدول وأنه يتضمن نظاما خاصا به في العدالة السياسية والاجتماعية، والإسلام في الواقع هزم الديمقراطية الليبرالية في أجزاء متعددة من العالم الإسلامي وهو يشكل تهديدا كبيرا للممارسات الليبرالية ويمثل تحدي جديد للغرب"[1] ولهذا تعتبر أن الإسلام هو الّذي يشكل التشاؤم والخوف بالنسبة إلى الغرب ومصدر قلق وانشغال ويواصل فوكوياما في محاولة للإحباط وتقليل من الإسلام بتأكيد **"أن الإسلام لم يعد يمارس أي جاذبية خارج الدول والشعوب غير الإسلامية وأن الزّمن الغزو الثقافي للإسلام لغيره قد انتهى وقام بعملية العكسية للهجوم على الإسلام مبينا أن هذا الأخير هو الّذي ينعرض إلى الغزو الثقافي الغربي"**[2] حيث يعتمد فوكوياما بمقارنة بين القيم الغربية التي تمثلها النظام الليبرالي والقيم الإسلامية فالغرب تأسس على أسس قيم سامية مثل التسامح والانفتاح والديمقراطية على عكس الإسلام الّذي يشكل النظام الوحشي المتشدد الغير متسامح مع الغير، والذي يتبلور في صورة الإرهاب وهذا ولا شك اتهام ظالم وتحامل على المسلمين وتحريض على كراهيتهم، فالقيم الإسلامية السامية التي يدعو إليها الإسلام فالتسامح والانفتاح والاعتراف بالآخر هي سمات الإسلام وخصائصه، ويؤكد نعوم تشومسكي هذا التحامل على الإسلام من خلال المقالة التي كتبها *تشارلز غلاس الّذي يرسم صورة واضح التي يرى بها الغرب والمسلمين **"أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الوحيدة في العالم الّذي يدعي فيه أمرؤ بأنّه إرهابي لقيامه بالدفاع عن بلده عند هجوم عليه"**[3]، وهذا ما يؤكد أن الغير (الغرب) يمارس التعامل معنا على أنّنا نمثل اتجاه مختلف، تمارس علاقة التعامل والتعارف بشكل متطرف يضع الغرب دائما محل عداء قائم على أساس نجاح الغرب وفشل الإسلام ولكن هذا التنظير هو نابع من معتقدات غربية مصنعة للحد من انتشار الإسلام واعتبار المسلم فرد متطرف لا يستطيع التعامل مع القيم التي رسمها النظام الليبرالي، ولكن هذا غير صحيح الآن الاسلام والرؤية الإسلامية تستطيع أن تستوعب التعامل الغرب لكن الغرب، هو الّذي لم يستطع أن يستوعب التعامل مع الإسلام انطلاقا من ممارستها العلمانية.

وما سيؤكد النظر الحقيقة بين العلاقات الغرب مع الآخر هي نظرية صدام الحضارات لصمويل هانتنغون حيث يذهب على تحديد العلاقة في النظام العالمي الجديد، حيث أن الاختلاف التي ستحدد طبيعة

---

(1) فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص71.

(2) المصدر نفسه، ص56.

(3) نعوم تشومسكي: طموحات إمبريالية، ص36.

العلاقة لتأسيس إلى المستقبل ذات طبيعة صراعية مبنية على الاختلاف الثقافي والديني، فيعارض نظرية نهاية التاريخ **"على اعتبار أن هم التوافق والانسجام في نهاية تلك الحرب الباردة سرعان ما تبدد بسبب تضاعف الصراعات العرقية والتطهير العرقي وبروز أشكال جديدة من التحالفات والصراع بين الدول"**[1]، ولهذا فإنّ هانتنغون يتنبأ بمستقبل صراعي بين الغرب والحضارات الأخرى ولو بشكل بسيط لكنّه أخص الحضارة الإسلامية وهذا الطرح أقرب من الواقع لأنّ في عرضه للحضارات لم يرى إلا في الحضارة الصينية والإسلامية الخطر على الغرب يؤكد هذا بقوله: **"ومن المرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني"**[2]، ولكن فوكوياما يعتبر صمويل هنتغتون الّذي جادل بأنّه عوضا التقدم باتجاه منتظم عالم واحد يبقى العالم غائصا في صدام حضارات طرحه خطأ في مقالته لقد ربح الغرب "حيث يؤكد أن العالم الإسلامي لا يمكن أن يشكل خيارا واحد بديلا عن الديمقراطية الليبرالية الغربية لأنّ الإسلام السياسي نجاح على المستوى النظري، لا على أرض الواقع ومأكد أننا سنبقى في نهاية التاريخ لأنّ هناك نظاما واحدا يستمر مهيمنا على السياسة العالمية وهو الغرب الديمقراطي الليبرالي"[3]، على الرغم من كلّ الواقع التي تثبت عقم النظرية نهاية التاريخ فوكوياما يكمل طريقه في اعتبار أنّه لا يوجد نظام عالمي غير النظام الليبرالي الديمقراطي، وأن النظام الإسلامي لا يمكن أن يشكل لو خطر بسيط على الغرب أنّه نظام غير متماسك في بنيته الاقتصادية والسياسية على عكس النظام الغربي.

ولهذا يعتبر فوكوياما أن هنتغتون حجة في الاختلاف الثقافي غير مقنعة ولا يمكن للاختلاف الثقافي أن يتسبب في الصراع في المستقبل، ولكن أصبح العامل الثقافي اليوم والديني له دورا كبير في تشكل طبيعة العلاقات السائدة دوليا والتي تؤدي في معظم الأحيان إلى الصراع انعكاس للواقع، الّذي نعيشه فمعاملة فرد أمريكي "جنسية أمريكية" تختلف عن معاملة الفرد المسلم في أمريكا فنظره إلى هذا الأخير على أنّه يمكن أن يشكل خطرا على النظام الغربي وسياسة الدولة من خلال معتقداته وسلوكه، فالديمقراطية التي يردها فوكوياما والغرب بارتباطها بالحرية لا يعكسها الواقع الغربي في نظريته للعرب (المسلمين) إما أن تكون ديمقراطي بمفهوم أمريكي أو تكون إرهابي إذا اختلفت عنهم في المفاهيم أو الرؤية، لهذا الكثير من فلاسفة يدعون إلى تجاوز هذا التفكير من خلال التواصل وتقابل الآخر مهما كانت عقيدته أو دينته "ويرى هابرماس في التسامح أساس للثقافة الديمقراطية الوطيدة وهو شارع ذو اتجاهين على الدوام، فالأمر يقتصر على ضرورة أن يتسامح المتدينون

---

(1) صامويل هنتنغتون: صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، ط2، السطور، 1999، ص53.

(2) المرجع نفسه، ص293.

(3) مهلا هنتنعقون، مهلا فوكوياما، إعداد العالمي للاستشارات الإستراتيجية، ط2، 2004، ص17.

مع عقائد الآخرين، واجب العلمانيين أيضا أن يحترموا قناعات المواطنين الّذين يحفزهم الإيمان الديني"[1]، فإنّ هابرماس أردى أن يؤكد لديمقراطية تكون تحتوي على الحرية من خلال شروط التواصل التي تحمل في داخلها التفاهم الرغم الاختلاف العقائدي والإيديولوجي فإن أسقطنا رؤية هابرماس سنجد الإسلام في أساس علاقة المسلمين مع غيره يقوم على التعايش السلمي قال الله تعالى: **﴿لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[2]، فقبول الآخرين والعدل معهم واحترام حقوقهم مهما اختلفوا عنا في الجنس والعقيدة جعله الإسلام مبادئ من مبادئه، وهذا ما تدعو إليه التنظيرات الفلسفية اليوم والديمقراطية التي تزعمها الليبرالية.

كما أن العداء للإسلام في نظر فوكوياما ليس نظرة شاملة وكلية بل هي مجموعة التي تمثل الإسلام المتطرف والمتعصب "الراديكالي" الّذي يمكن أن يشكل خطر بالنسبة للغرب وهذا الكيان سيعرقل مصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وذلك بتشكل المركز الأساسي للمشكلات الإرهابية وغرض من هذه الجماعات تحقيق أغراض سياسية لا أكثر حيث يخص بالذكر دائما دولة إيران في كتابه أمريكا على مفترق الطرق ولهذا يحدد لنا فوكوياما بشكل غير مباشر الخطر وعدو النظام الغربي.

ب- النظام الاقتصادي "عالم الأموال":

يبين لنا فوكوياما حول نهاية التاريخ الدور الحاسم الّذي لعبه النظام الاقتصادي وسياسي ويرى أن إدراك النّاس مدى حتمية والبروز النظام الرأسمالي والاقتصاد الحر ويعتبره هو النظام النجاح بمقابل النظام الاشتراكي الّذي اعتبره رمز لتخلف، ولكن فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير يعي كلّ الواعي أن النظام الاقتصادي يمكن أن يحدث تغيرات اجتماعية وأبعد من ذلك تغيرات في موازين القوة حيث بروز أي دولة قوة اقتصادية يمكن أن تهدد الكيان الأمريكي وتضعه محل الضعف ويؤكد **"أنّ العالم الاقتصادي الحديث هو بنية كثيفة وضاغطة تمسك جزء مهما من حياتنا بقبضة حديدية"**[3]، فتلازم الّذي يحققه النظام الليبرالي بين الاقتصاد والسياسة للإثبات مصداقية ومدى قدرته إلى الانتشار والتوسع العالمي بحيث أنّها تريد واحدها في الساحة الاقتصادية العالمية والتحكم في السوق العالمية ولهذا فنهاية التاريخ لا تعتبر ذات مرجعية سياسية فقط فعامل الاقتصادي يؤثر وبشكل كبير في سقوط النظام الليبرالي إذ انهار.

---

(1) علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية، ص226.

(2) سورة الممتحنة، آية 08.

(3) فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص144.

وفي سياق ضمني يعرج فوكوياما إلى أهمية النظام الاقتصادي ولكن سرعان يتدارك الخطأ الّذي وقع فيه على اعتبار أن النظام الليبرالي هو الرائد في العالم وأنه بإطاحته للاقتصاد الاشتراكي قادر على تحدي نظام اقتصادي جديد ولكن بظهور قوى تستطيع أن تنافس هذا النظام حين أحس فوكوياما والنظام الغربي بأكمله مدى الخطر الّذي يمكن أن يلحقه النموذج الأسيوي في التطور الاقتصادي وتنمية المال وعالميه فيربط فوكوياما بين الحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي باعتباره محوريا يجمع الأمة للحفاظ على قدراتها التنافسية في أسواق اقتصادية، ففي كتابه "الثقة" يرى أن الثقة هي كلمة السر التي سينتقل منها المجتمعات من حال إلى حال وتطور الدول من وضعية إلى آخر، ويربط هذا التحول بالرأس المال الاجتماعي والذي يعني به مكونان الرأسمال البشري في مجتمع فثقة بمفهومها الواسع تحقيق النمو والازدهار في المجتمعات، كما تمثل القوة وخلق مجتمع اقتصادي وسياسي فربط بين الثقة والقيم في المجال الأخلاقي لتحقيق القوي العالمية فهذا الطرح لفوكوياما ما لم يأتي صدفة بل نتيجة إلى سقوط المنظومة القيمية والأخلاقية للفرد الأمريكي وانسلاخ الفرد أو المواطن في النظام المادي، وتحقيق أكبر قدر من المنفعة الشّخصية وابتعد الفرد الأمريكي عن دولته فأصبح الديمقراطية التي ينظر لها فوكوياما والغرب من أحد أسباب إسقاط هذا النظام، ولهذا فإنّ العوامل الاجتماعية والثقافية تساعد على النمو والتطور الاقتصادي ولهذا فنمو الصيني يمكن أن خطوة لظهور قوة أخرى، ويظهر تحدي جديد للولايات المتحدة الأمريكية ويرى فوكوياما أن **"من يراقب الأسروية الصينية من المنظور التاريخي يتضح له أنّه قدرا كبيرا من العقلانية الاقتصادية"**[1]، ولهذا فإنّ المقومات البشرية تلعب دورا مهما في بناء القوة الاقتصادية بالصين تختلف عن باقية الأفراد في المجتمعات الأخرى فهو يعمل بأخفض أجر وأكثر عدد من الساعات على عكس الفرد الأمريكي، لهذا فموارد البشرية تمثل أكبر قدر من مقومات الاقتصاد الصيني.

ويرى فوكوياما أن علاقات الصين الخارجية تقوده عادة الدوافع التجارية لاعتقادهم أو أيديولوجيتهم ولكن هذا لا يعني أنّها ليست تحديات للعلاقات الدولية لأنّه في أي وقت يصعد فيه لاعب قوة جديدة فإنّه يجعل العلاقات الدولية القوية مضطربة وغير مستقرة، ويعتقد أن الصين أكبر تحدي يواجه النظام الحالي والولايات المتحدة الأمريكية خاصة ويعترف فوكوياما أن تراجع النظام الاقتصادي سيؤدي حتما إلى التأثير على النظام السياسي الليبرالي والاقتصاد أيضا وهذا ما أكده في قوله: **"فقد أدى فقدان رأس مال الاجتماعي إلى نتائج مباشرة انعكست آثارها على الديمقراطية الأمريكية أكثر من الاقتصاد الأمريكي"**[2]، فمفهوم

---

(1) فرانسيس فوكوياما: الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة معين الإمام، ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، 2015، ص156.

(2) المصدر نفسه، ص601.

الديمقراطية المثالية التي جعل منها نهاية التاريخ وجدت من ينافسها ويشكل لها خطر، بـــدون أن يســـعى إلى التنظير أو طرح أفكار وتأسيس على نظريات تخدم سياسة معين بل هذا الخطر هو يؤثر على النظم أخرى من خلال التطبيق والنجاح على أرض الواقع فتصبح الأوضاع الاقتصادية المحرك الأساسي للتاريخ ولهذا فإنّ الواقع اليوم لا يحول إلى نهاية التاريخ بل هو استمرار التاريخ.

وإنّ فوكوياما في محاولة للدفاع عن نظريته يجعل الموازين دائما في صالحه ومدى إدراكه بالتحـــديات التي يمكن أن يوجهها النظام الليبرالي السياسي والاقتصادي، فرأى في الأمة الإسلامية نظام حكم أن يقوم مكان نظام الليبرالي باعتبار أن النظام الإسلامي في الحكم نظام متميز عن باقي الأنظمة الأخرى، فهو يجمـــع بـــين المبادئ الأساسية للحياة سواء في جانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي دين القـــيم الأخلاقيـــة والروحية للإنسان ويمكن هذا ما يحتقره الفرد الغربي اليوم نتيجة الفصل بين الجانب الروحي والمادي للإنسان. وينهار النظام الاقتصادي الاشتراكي وانتشار النظام الليبرالي اعتقد الغرب أن هذا الانتصار دائما لكن سرعان ما أدى الوعي إلى الانتقال السريع والغير متوقع للنهضة الاقتصادية ومن بين هذه الدول الصين التي عرفت نمو اقتصاديا سريعا خلال العقود الأخيرة ويعود هذا النجاح إلى عاملين اثنين: الأوّل التصنيع المنخفض التكلفـــة والثاني الأيدي العاملة الرخيصة، كما أن توسيع المعاملات التجارية وخاصة الوطن العـــربي أدى إلى التـــوازن الاقتصادي العالمي بين القوتين.

وفوكوياما له علم بهذه المشكلة عندما يتحدث عن انتشار الديمقراطية الليبرالية تواجه تحـــديين الأوّل الإسلام الراديكالي وزيادة على الحركة الإسلامية التي انتشار في العالم ويمكنها تهديد الديمقراطيـــة الليبراليـــة والتهديد الثاني هو أكثر أهمية صعود الدول غير الديمقراطية مثل روسيا، الصين التي يمكن أن تصـــبح منـــافس الحقيقي للديمقراطية.

المبحث الثالث: رؤية السياسة التاريخية وآثارها على العالم:

1- الفكر السياسي الأمريكي من منظور فوكوياما:

منذ نشر أطروحة فوكوياما حول نهاية التاريخ قد مر ما يقارب خمسة وعشرون عام ينبغي سؤال ما إذا كان تفكير وأراء فوكوياما تحول مع الزّمن؟

ولهذا فإنّ للاختبار الكبير للأطروحة فوكوياما صورة الأحداث في نيويورك **11** سبتمبر **2001** ولكن فوكوياما ينفي سقوط نظريته ويعتقد أن وجود الدول الضعيفة والتي هي مصدر المشاكل الأكثر خطـــورة في العالم وتحديد الدول الإرهابية التي قامت بهذا الفعل، ونادى بالقضاء عليها ونشر الديمقراطية في هاته الدول وفي

كتابه بناء الدولة سنجده يفصل ويوضح هذا التحول وفي أعقاب أحداث **11** سبتمبر، قد يبدو أن نظرية فوكوياما فتحت تماما ولكن فوكوياما يستجيب للأحداث ويصر على مبادئه وأن التوسع في الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية أمر لابد منه أكثر من قبل، ويصر على أننا لا نزال في نهاية التاريخ لأنّ هناك نظام واحد سوف يستمر في الهيمنة على السياسة العالمية وهو النظام الليبرالي الديمقراطي الغربي، ويؤكد على أنّه رغم كلّ هذه الأحداث إلا أنّه لا يزال مقتنعا بطبيعة الاستثنائية للديمقراطية الليبرالية، ورغم تغير الفكر السياسي الّذي يعارض فيه المحافظون الجدد الّذي كان ينتمي إليهم من قبل إلا أنّه لا يترك رؤيته للمستقبل في وجود الديمقراطية.

لهذا يمكننا أن نتساءل على مدى تطبيق الفكر ونظرية نهاية التاريخ في ممارسات السياسة للولايات المتحدة الأمريكية؟ وما هي أهم التغيرات التي طرأ على الفكر الفوكوياميّ؟ وما أهم الانتقادات التي وجهت لنظرية نهاية التاريخ؟

إنّ النظام الليبرالي لا يمكن فهمه فهما صحيحا إلا من داخل فتفاعلات وحركية الأفكار والآراء المتداخل بين بعضها البعض تحولنا إلى الدخول في دوامة بين التنظير السياسي والواقع المعيش، وإذا أعطينا قرأة بعيدة الأفق لنظرية نهاية التاريخ سنجدها ولدت في رحم الفكر الغربي وهذا من خلال السياسة الأمريكية داخليا وخارجيا، كما أن مرحلة وجود فوكوياما عرفت مجيء خمسة رؤساء على التوالي: جورج بوش الأب **(1989- 1993)**، بيل كلينتون **(1993- 2001)** جورج بوش الابن **(2001- 2008)** بارك أوباما **(2009- 2017)** دونالد ترمب **(2017)** فتزامن وجود فوكوياما كع تغيرات الرؤساء الّذي يتبعه تغيير مبادئ وسياسات وتطور الأحداث سيؤدي حتما إلى تغير آراء فوكوياما ولكن النقطة التي سيلتقي فيها جميع رؤساء العالم الغربي كافة مع فوكوياما هي "الديمقراطية" كنظام الوحيد، الّذي يجرأ أن يسير العالم فسياسة الأمريكية بوجهها الأوّل تحاول إقناع العالم بأنّها لازالت تسير على مبادئ الحرية وحماية العالم واتساع الديمقراطية في جميع أنحاء العالم، فكل من خطابات الرؤساء الّذي سبق ذكرهم سنجدهم دائما يهتفون بمفاهيم وشعارات مثل الحرية والديمقراطية والدفاع عن هذان المفهومان من أعداء واجب ونشر السلام العالمي، في النظام الدولي الجديد، فإجماع السياسي بأن الديمقراطية هي مبتغى وهدف النظام السياسي الغربي لهذا نجد فوكوياما في كتابه نهاية التاريخ الإنسان الأخير يركز على الديمقراطية ويدعو إليها **"عليهم أن يتمكنوا من حب الديمقراطية"**[1] باعتبار الديمقراطية أفضل النظم التي وجدت والتي يمكن أن توجد، فهنا فوكوياما بتقديسه للديمقراطية ومحاولة

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص206.

لنشرها أصبح بمثابة واجب على جميع المعمورة البشرية والكيان الفردي حب والإيمان بالديمقراطية، ولهذا فإنّ السياسة الأمريكية أقرت بإعجابها وأهمية أطروحة فوكوياما والذي اعتبارها هذا الأخير بمثابة توجيه لنشر الديمقراطية الليبرالية حول العالم.

ولأن الغرب وجد في أطروحة نهاية التاريخ أكبر قدر من المصلحة والمنفعة لخدمة مصالحهم من خلال الديمقراطية، لهذا فدعم المجتمع الغربي راجع إلى مدى احتياجهم بإحساس أنهم مركز العالم فطبيعة المسار السياسي والنظام الإيديولوجي المهيمن على ولايات المتحدة يجد ضالتها في نهاية التاريخ فكرة نهاية التاريخ هي خلاصة أفكار عميقة وتجارب "غربية" مستمرة لتحكم سياستها ومصالحها في العالم سواء على المستوى العسكري أو الاقتصادي أو السياسي والواقع يؤكد دائما الهدف الرئيسي للغرب وهو السيطرة والهيمنة على باقية العالم وفي الخطاب ألوداعي لرئيس و.م.أ باراك أوباما دافع في خطابه عن الديمقراطية وداعي إلى مواجهة التحديات المشتركة والتمسك بالديمقراطية، التي كانت جوهر خطاب أوباما الأخير وحذر من الخطر الّذي يمكن أن يلحق بديمقراطية من المتشددين ولكنه لم يحدد من هم وأعطى الأمل وتفاؤل لبناء مستقبل وذلك من خلال ترسيخ الديمقراطية.

وأن تحقيق فكرة نهاية التاريخ في النظام الليبرالي في ساحة الولايات المتحدة الأمريكية يتشكل من خلال الإيمان المطلق بالتفوق والهيمنة على الدول الأخرى يرى فوكوياما "أن الميجالوثيما الرغبة بالتفوق هي أحد مقومات العالم الديمقراطي **"ويرى أن الميغالوثيميا في الديمقراطيات الليبرالية المعاصر لم تتلاش من الحياة الإنسانية ولكن مظاهرها ومرامها هي التي تغير".**[1]

لهذا فإنّ أفكار فوكوياما نابعة من تفكير غربي محض فكل أفكاره تشكل المبادئ أساسية والسياسية في النظام العالمي الجديد فاعتراف بالتساوي والحرية الديمقراطية كما يداعي الغرب هي مجرد غطاء يضمن تحسن صورة أمريكا في العالم، ولهذا فالغرب المستبد يستعمل مصطلحات مشوهة لا تمثل الديمقراطية حتّى في أدنى مستوياتها فتصبح هذه القيم إجبارية لكن بمفهوم للرغبة في التفوق على العالم بأسره.

نجد أن أطروحة فوكوياما ترفع من شأن الولايات المتحدة الأمريكية وتعمل منها نموذجا فكريا في تطبيقه في دول العالم لرؤية مستقبلية للنظام الدولي، الجديد، ولهذا من خلال عرضنا للمحتوى الفكري لفوكوياما يتبين لنا أن نظريته وفقا لمعتقدات محدد مسبقا وأكثر من ذلك نستطيع أن نقول وفقا لعقيدة ينتمي إليها.

---

[1] فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ص296.

فنظام السياسي الّذي يتخيله فوكوياما والدولة المطلقة التي تمثل نهاية التاريخ هي نفسها فكرة "الدينية اليهودية"، والتي تحمل شعار شعب الله المختار وأن الله ميزهم على عامة خلقه من البشر، فلهذا فإنّهم ينظرون إلى الشعوب الأخرى نظرة احتقار ودونيه والشعور بالتفوق والاستعلاء على بقية الشعوب، وأن بقية المعتقدات والممارسات كلها خاطئة، **"في كتاب يد الله والحوار الّذي أقامته المؤلفة مع أوين الّذي يعترف بوجود ملامح العصر المعاصر في كتاب المقدس، والاستناد إلى هذا الاعتراف والاستشهاد بواقع العالم اليوم وهدف من "نهاية التاريخ" سنجد رؤية تقاربية في أن كلاهما يشتركان في اعتبار أنّهما يمثلان الشكل الأخير لتطور الاجتماع"**[1] فأول يحمل مرجعية دينية وثاني يحمل مرجعية فكرية، ولكن المؤكد أنّهما يسيران على نفس المنوال ومصلحتهما واحدة وتأكيد على ذلك قول جوهان غالتنغ: **"بين الولايات المتحدة وبين الله عهد تحالف مع الله، وأمم أخرى بينهما وبين الولايات المتحدة تحالف يتحدد خضوع المحيط للمركز خضوع الأمم الغربية للولايات المتحدة وخضوع الولايات المتحدة لله"**[2] ولهذا فإنّ رؤيتنا الأساسية تتضمن التداخلات السياسية والفكرية والعقائدية، والسياسة بهذا المعنى هي الأفكار والعقائد الإيديولوجية المعلنة أو غير المعلنة، ويتضح لنا هنا أن التوجه السياسي والفكري والبيان العقائدي هو أصل نظرية نهاية التاريخ وقيام الولايات المتحدة الأمريكية كدولة.

2- تغير آراء فوكوياما:

عندما تتغير بعض الآراء المفكرين أو المحللين من خلال مراقبة الأحداث والحقائق وعلى ما يستجد من حقائق ومعلومات ليس عيبا أو أمر غير مقبول فتغير الآراء لهدف التأثير على الغير و الاقناعه بفكرة أو برأي أو كسب تأييد لقضية أو نظرية من خلال تتبع الأحداث ستجعل من هذه الأفكار محل رفض من خلال رد فعل وتغيير المبادئ والأفكار التي نبني عليها ثابت أطروحتها ولهذا فإنّ فوكوياما في تغيره للمواقف والآراء من خلال التطورات التي واكبت العالم ولكنه أكد ودافع على مبادئ التي يعتبرها أساس موقفه ونظريته، وعليه سنتناول: آراء ومواقف فوكوياما من بداية نهاية التاريخ حتّى اليوم.

1- في كتابه نهاية التاريخ يعتبر أن النظام الرأسمالي والليبرالي هو المرحلة الأخيرة للتاريخ فقد انتصر هذا النظام على الاشتراكية وهو يمثل نهاية التطور البشري، ولكن سرعان ما تراجع عن أفكاره وتحدث عن خطر الدول الضعيفة التي أصبحت تهدد الغرب ويمكن أن يواجه النظام الديمقراطي **"فليس من المستغرب أن تظهر الأنظمة**

---

[1] أنظر: غرس هالسل: يد الله، ترجمة محمد السماك، ص 90-100.

[2] روجي غارودي: الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط، ترجمة صباح الجهيم، ط2، دار عطية للنشر، لبنان، بيروت، 1999، ص208.

الاستبدادية تنوعا أكبر من نتائج التطور الاقتصادي من الأنظمة الديمقراطية"[1] وتنبأ بإمكانية وجود نظام آخر ينافس النظام الليبرالي يناقض الطرح الأوّل لفوكوياما على نهاية التاريخ.

2- وبعد مرور حوالي عشر سنوات على أطروحة فوكوياما ورغم ما طرأ على سياسة العالم والاقتصاد يؤكد على صحة أطروحته نهاية التاريخ ويعتبر أن الديمقراطية الليبرالية هي أساس الوجود بالنسبة للمجتمعات ولكن بعد أحداث **11** سبتمبر في محاولة لدافع عن أطروحته وتكييفها مع التطورات الحاصلة في مقال نشره في مجلة الغارديان "لقد ربح الغرب يوم **2001/10/11** فيكتب مدافعا عن أطروحته "يزعم تيار المعاقين أن مأساة **11** أيلول الماضي تثبت بأني مخطئا تماما عندما قلت قبل أكثر من عقد من الزّمن بأننا قد وصلنا لنهاية التاريخ... وأعتقد أنّني في نهاية المطاف سأبقى محقا لأنّه إذا نظرنا إلى ما وراء الديمقراطية الليبرالية والسوق ليس هناك شيء آخر يمكن أن نتوقع نهايته إذا أنّها نهاية التاريخ".[2]

3- ومع إعلان إدارة بوش الحرب ضد الإرهاب وغزو العراق تغير آراء فوكوياما بعدما كان يؤدي الحفاظ على الديمقراطية بأي شكل من الأشكال وتصريح بأنّه لم يعد ينتمي إلى المحافظين الجدد، فرفض الموقف للغزو للعراق ونقد إدارة بوش وأعلن بأن احتلال العراق كان خطأ وكل هذا يوثقه فوكوياما في كتابه أمريكا على مفترق الطرق موضحا تغيرات آراء **"كنت أعتقد نفسي محافظا جديدا لوقت طويل واعتقد أنني شاركت في رؤية مشتركة للعالم مع العديد من المحافظين الجدد الآخرين... وخلافا لآخرين عدد من المحافظين لم أكن قط مقتنعا بالأساس المنطقي لحرب العراق"**[3] ونجد أن تغير أراء فوكوياما لاعتبارات لن نستطيع أن نحددها مهما اجتهدنا إلا في حالة اعتراف فوكوياما لهذا الكم من الآراء المتناقضة، وأن سنجد العديد من التناقضات في أفكار ومعتقدات فوكوياما تحولنا إلى الاعتقاد بأنّه متضارب الآراء لا يعي ماذا يقول، لكن ما وراء الحقيقة يمكن أن نعتبره سياسي محنك يصنع مقاربة فكرية يوصلها إلى النّاس لتحقيق أغراض سياسية، ففوكوياما في مؤلفاته الأخيرة يرى أن الديمقراطية ليست أهم شيء في الدولة فأهم منها هو بناء دولة قوية قادرة على حكم البلاد بشكل فعال حتّى لو كانت ديكتاتورية ذات حزب واحد، وهذا ما يؤكده واقعنا اليوم ففرانسيس فوكوياما يرى أن أمريكا في وضع الشلال لا تستطيع الرجوع إلى الوراء أو التقدم إلى الأمام ولهذا فهي بحاجة إلى صدمة وهذه الصدمة تتمثل في إمكانية التراجع عن بعض الإصلاحات الديمقراطية، وإذا أسقطنا هذه أفكار

---

(1) فرانسيس فوكوياما: بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة مجاب الإمام، ط1، دار النشر العبيكان للنشر، 2007، ص77.

(2) مهلا هنتعتون، مهلا فوكوياما، إعداد المركز العالمي للاستشارات الإستراتيجية، ص14- 15.

(3) فرانسيس فوكوياما: أمريكا على مفترق الطرق، ص09- 10.

على تحولات اليوم سنجد أن الصدمة التي يقصدها فوكوياما دونالد ترامب الّذي يقوم بإصلاحات منذ ترأسه الحكم وفي الأخير عرض أهم أفكاره من بداية ظهور نهاية التاريخ والمؤلفاته الأخرى، بين تناقض الآراء وتمسكه بالليبرالية الديمقراطية على اعتبارها نظام الواحد في العالم ستحدد رؤيتنا هذه كلها في مصطلحين اثنين فوكوياما والموقف السلطوي.

3- نقد أطروحة نهاية التاريخ لفوكوياما:

بعد إفراج عن أطروحة فوكوياما على الساحة العالمية، أثارت نقاش حول الموضوع فوكوياما كان جريئا في أطروحته و لم يكن يخطر عن باله أنّها سيتلاقى كما هائلا من النّقاد فهناك آراء مؤيدة وأخرى معارضة سنقدم هنا لبعض النّقاد لمنطق الأطروحة في بنائها الداخلي:

1- إنّ نظرية فوكوياما ليس بجديدة بل هي نظرية مستنسخا في بنيتها الخارجية فنهاية التاريخ هي مقولة مجترا لمقولات فلسفية قديمة وحديثة، فمقولة الثيموس مأخوذة من أفلاطون، وبمثل ذلك مقولة نهاية الإنسان الأخير مأخوذة من فلسفة نيتشه أما الاقتباس المؤكدان نهاية التاريخ والقول بدولة الليبرالية هي مقولات هيجيلية مطلقة ولعلّ قضايا الفلسفية التي طرحها هيغل تندرج ضمن نهاية التاريخ ولذلك كإفراز لماجد من أحداث عظيمة غيرت التاريخ في وقته.

2- الماركسية هي فلسفة أخرى من نهاية التاريخ ولكن بشكل بسيط واعتبار نهاية التاريخ تعني انتصار الماركسية الشيوعية التي تؤسس للسياسة الوحيدة وهذا هو السبب النقد الشرس من قبل الماركسيين لفوكوياما.

نجد جاك ديريد أ ينتقد فوكوياما في كتابه أطياف لماركس حيث ينتقد فكرة فوكوياما في سيادة الليبرالية واعتبارها الشكل المثالي لنظام الحكم **"أليس المقصود به أن يكون إنجيلا جديدا أو أن يكون الأكثر ضجة والأكثر إعلاما والأكثر نجاحا فيما يخص موت الماركسية بوصفها نهاية التاريخ"**[1] ويعتبر ديردا أن الماركسية انتهت كنظرية سياسية واقتصادية إلا أن روحها المطلقة الملهمة دوما موجودة للتغير في سبيل البحث عن العدل المطلق، فديردا لا يرفض الديمقراطية الليبرالية ولكنه يرفض أن تكون قد تحققت في صورتها المثالية المرجوة وأن يكون النظام العالمي الجديد الّذي تنشده الولايات المتحدة الأمريكية نهاية التاريخ، كما أشار إلى أن حقيقة الديمقراطية الرأسمالية لا تزال منقسمة بين مفهوم النظري والتطبيقي، فالفقر والتوتر العرقي وما إلى ذلك كلاها لا تقضي بنهاية التاريخ لأنّ هذه الأخيرة تعني تحقيق العدل وهذا ما لم تستطيع الديمقراطية تطبيقه.

---

[1] جاك دريدا: أطياف ماركس، ترجمة منذر عياشي، ط2، مركز الإنماء الحضاري، حلب، 2006، ص113.

ولذلك كان الماركسيون مثل بيري أندرسون من أشد المنتقدين لفوكوياما وبصرف النظر يـــرى أن الديمقراطيات الرأسمالية لا تزال تعصف به الفقر والتوتر العرقي وما شابه ذلك، والماركسيين رفضـــوا أيضـــا اعتماد فوكوياما على هيغل وفقا لنظريته لأنّ كانت لفلسفة هيغل عيوب قاتلة حتّى ماركس حولها رأسا على عقب لخلق المادية الجدية، يقول فوكوياما أنّه على الرغم من وجود الفقر والعنصرية والتمييز على أساس الجنس في الديمقراطية الوقت الحاضر، لا يوجد أي علامة على وجود كبير الثوري وحركة النامية التي مـــن شـــأنها الإطاحة فعلا بالرأسمالية لكن الشيوعية في حين الماركسيين نظرة تختلف باعتبار أن الديمقراطية لا يمكنها أن تمثل نهاية التاريخ لأنّ الشيوعية في نظر الماركسية يجب أن تنطوي بالضرورة على شكل من أشـــكال الديمقراطيـــة المباشرة. [1]

3- يمكن أن أطروحة فوكوياما فهمت بمبالغة التاريخية فنجد من لم انتقاد هذا المفهوم وفنده كار بوبر في كتابه بؤس الإيديولوجيا فعن تقديمه لكتاب **"يعتقد أن المعبر التاريخي مجرد خرافة وأنه لا يمكـــن التنبـــؤ بمجـــرى التاريخ الإنساني ويعتقد أن المذهب التاريخي أخطأ في تصوره للغاية"**[2] ولهذا فإنّ بوبر يحـــاول أن يظهـــر الاتجاهات من التاريخية ممكن التنبؤ للمسار المستقبل للتاريخ هو طبيعة ضعيفة وغير منتجة وحجته في ذلك أن مسار التاريخ البشري يتأثر للنمو المستمر للمعرفة البشرية وبالتالي الأساليب العلمية لا يمكـــن التنبـــؤ لنمـــو المستقبلي لهذه المعرفة ولهذا فلا يمكننا بمسار مستقيل التاريخ البشري ولا يمكن أن توجد أي نظرية لتطور نهاية التاريخ والتي تكون قاعدة لتنبؤ التاريخ ولهذا فإنّ نظرية نهاية التاريخ تسقط وتعتبر خرافة بمفهوم كارل بوبر.

4- ونجد من بين من تزامنت نظريته مع نظرية نهاية التاريخ صمويل هنتغتون في كتابه **"صراع الحضـــارات"**: حيث يعتبر أن الصراع بين الإيديولوجيات هو صراع مؤقت والذي تأتي بعـــده هـــو صـــراع الحضـــارات "الثقافات" حيث أن الحضارات المهيمنة هي التي تقرر تشكيل المؤسسة السياسية والنظام العالمي، فالصراع هو الّذي سيحدد العالم الجديد كما يقول لن يكون هذا الصراع أيديولوجيا أو اقتصاديا بل ســـيكون الانقســـام الكبير بين البشر، والمصدر الغالب هو الصراع الثقافي والذي يستعمل فيها صمويل عالمـــان "هـــم" و"نحـــن" كأساس دائما للصراع عبر التاريخ.

ولهذا أطروحة صمويل تخالف فوكوياما و**"نهاية التاريخ"** الّذي أكد فيها أن نهاية الصراعات السياسية العالمية وظهور عالم يغلب عليه الانسجام والتوافق في ظل الليبرالية الديمقراطية، ولهذا فإنّ نهاية التاريخ باعتبار

---

[1] The end of history and the last man , NewYork free press his page was last nodified on 23 february 2017. https://en.wikipedia.org/wiki/The_End_of_History_and_the_Last_Man

[2] كارل بوبر: بؤس الإيديولوجيا، ترجمة عبد الحميد صيره، ط1، دار الساقي للطبعة العربية، بيروت، لبنان، 1992، ص05.

صمويل هيجنشتين هي بداية لصراع الّذي سيحدد المسار التاريخي والعالمي، وأعتقد أن هذا الطرح هو أقرب للواقع من "نهاية التاريخ" وهذا ما يثبته واقعنا اليوم.

5- وهناك من انتقد فوكوياما في فكرة الديمقراطية نفسها، باعتبار أن القيم الديمقراطية الغربية هي أفضل القيم ولكن الديمقراطية التي ينادي بها فوكوياما على المستوى النظري لا تعكس المستوى الفعلي، حيث أن ديمقراطية تتخذ مسارا مغاير فهي تلجأ إلى أسلوب العنف بدلا من التسوية السلمية فأي نوع ينتظر هنا فوكوياما أن يتحقق.[1]

6- يمكن أن نعتبر نظرية نهاية التاريخ وليدة العالم الغربي وانتماء الواضح للنموذج الأمريكي للسيطرة على العالم، فهي خادمة لنظام سياسي الأمريكي حيث تروج كما عرفنا قبل إلى الفكرة الليبرالية الديمقراطية وحتمية سيادتها في النظام الدولي الجديد، حيث أخذ على عاتقه الترويج لهذا الفكرة ودفاع عنها رغم وجود أوجه ضعف وسلبيات حتّى يومنا هذا، ويتأكد لنا أن نظرية فوكوياما هي نظرية سياسية ذات توجه سلطوي بحت.

نستنتج من خلال الفصل الثالث أنه يرتكز على النقطة الأساسية التي تشمل بحثنا هذا من خلال التركيز علي المبتغي من نظرية نهاية التاريخ، حيث تعد أطروحة فرانسيس فوكوياما ذات مفاهيم متعددة تصلح لتحليل السياسة الدولية وفهم التوجهات الأهداف، من هذه النظرية بالإضافة إلي أهداف السياسية الأمريكية فبعد انتشار نهاية التاريخ اشتغلت مراكز الفكر السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية لتنظير لمفاهيم الأساسية لأطروحة واستثمارها لصالحها لهذا فان الفهم الأعمق للسياسة الأمريكية بشكل عام وسياسة الخارجية بشكل خاص، تتجسد في أهم المرتكزات التي تلتقي فيها كل من نظرية نهاية التاريخ والسياسة الأمريكية كديمقراطية والحرية العولمة والنظام الاقتصادي الخ، فهذا التزاوج بين المبادئ والأسس الذي وضعها فرانسيس فوكوياما وبين نظام الحكم الأمريكي الذي يقوم علي الديمقراطية ولاشى سواها، يؤكد على مدي ارتباطهما ببعض فتصبح هنا نظرية فرانسيس فوكوياما نظرية ذات قوام سياسي تحمل دوافع وأهداف محددة تخدم توجه معين يشتركان في نفس القيم والمصلحة، إن الولايات المتحدة الأمريكية هي اكبر وأقوى الدول في العالم وتسعى إلى الانتشار العالمي من خلال تبني النظام الليبرالي ونشر الحرية والديمقراطية الليبرالية وهذا ما سنجده حاضر في نظرية نهاية التاريخ علي العموم.

[1] عبد العزيز قاسم: نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي، حوار فوكوياما بمرآة المثقفين العرب، ط1، الناشر العبيكان للنشر، 2008، ص112.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث ارتأينا عرض بعض النتائج والمفاهيم الأساسية في نظرية نهاية التاريخ أو بالأحرى إلى ما توصلنا إليه من خلال بحثنا حول الإبعاد السياسية لنهاية التاريخ عند فرانسيس فوكوياما والتي سنلخصها إجمالا فيما يأتي ذكره:

- يقع فكر فرانسيس فوكوياما تحت تأثير دراسة الاقتصادية والسياسية التي كان فوكوياما يمارسها في وقت ظهور نظرية ففكره بناه على دعائم نظام الخاص الليبرالي في حركة مدروسة ومحددا نحو الديمقراطية.

- في نهر التاريخ يتدفق الماضي موصولا بالحاضر ومستشرقا لبناء مستقبل، يتحدد من خلال غائبة التاريخ في الوجود والواقع لها، فأن تناول فوكوياما فلسفة التاريخ ضمن عرض أطروحته تحديدا الطبيعة الغايات التي اختلف عليها الفكر الإنساني والفلاسفة أيضا، فالغاية عنده ذات مدلول علمي يكشف عن التنبؤ بالأحداث والمستقبل التي تزحف نحو نظام سياسي واحد يرأس العالم وهو النظام الليبرالي الديمقراطي نحو أمة واحدة ذات الطابع الكوني.

- استخدام فوكوياما العديد من المصطلحات الموجودة في الفكر الفلسفي انطلاقا من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الحديثة، فمزج بين الثيموس والايسموثيما ليحط رحاله على الميجالوثيميا لتأكيد فكرة واحدة تأسس على التفكير الفلسفي، إن جميع الحضارات التي قامت من قبل الحضارة الأمريكية كانت يقصد الحضارات الغربية تدعوا إلى الرغبة في نيل الاعتراف عن طريق التفوق واعتبر نفسها المركزية العالمية، وهذا ما زاد في ترسيخ نظريته استنادا للوقائع والأحداث السابقة.

- أنهى فوكوياما التاريخ وبالأحرى الايدولوجيا السياسة معا عن انتصار الديمقراطية حتى سيطرة نظام الليبرالي وتنبأ بالنهاية.

- أطروحة فوكوياما بكاملها تقوم على فرضية أساسية تحمل هدفين الأولى نهاية الايدولوجيا وانتصار الليبرالية والثاني الوصول إلى العالمية وفرض الأفكار ومبادئ الأيديولوجية في العالم، وتعميمها في المجتمعات كافة لبناء إمبراطورية أمريكية، يتبعها دويلات تمشي على نفس مسارها ومبادئها كقوة ضعيفة وقوة مسيطرة تمتلك التحكم في جميع العالم.

- وبعد هذا الإيمان المطلق بنظام الليبرالي وديمقراطية يلتمس بعض النقاط يمكن أن تشكل خطر على هذا النظام واكتشاف مركبات جديدة فتحدث فوكوياما على الإسلام الذي يمكن ان يشكل ايدولوجيا متسقة شأن الليبرالية، ولكنه دائما يقلل من هذا الخطر باعتبار إن النظام الإسلامي فاشل ذات نزعة تعسفية كما انه لا يحمل أفكار وعدم وجود فرص سياسة في العالم العربي والإسلامي، وانه يعاني من تأخر في الحريات والسياسة

فسنجده يتناقص في نفس الفكرة إعلان الخطر ثم محاولة التقليل من الإسلام، وإرجاع الثقة في الفرد الأمريكي والإدارة الأمريكية باعتبارها أفضل نظام في العالم لهذا جزم انه يجب نشر الليبرالية للتحديث السياسي، أما بنسبة لرؤية الثانية التي يمكن أن نعتبرها مشتقة من تصورات نيتشه حيث يعتبر هذا الأخير أن العالم السياسي سيصبح عالم المال والإعلام، هذا ما ذهب إليه فوكوياما باعتبار عالم الأموال يمكن أن يشكل الخطر على النظام الاقتصادي الليبرالي والديمقراطية كنظام سياسي، فحدد الصين كمنطقة يمكن ان تنافس وتنتصر على نظامه فانتقال النهضة الاقتصادية إلى الصين جعلت من قوة عظمى عالمية في فترة زمنية قصيرة وأصبحت لاعبة رئيسية على المسرح الدولي، لا كنظام سياسي أو عقائدي بل كنظام اقتصادي نجاح يمكنه أن يتحكم في العالم مستقبل، ولهذا فان النظام السياسي الذي لا بد من تعميمه يواجهه خطر ولهذا لبي نداء لأنقاض نظريته فكتب كل من "أمريكا على مفترق الطرق" "وبناء الدولة" لإظهار أوجه الضعف التي وصل إليها النظام ومحاولة إعطاء للفرد الأمريكي جرعة من الثقة بإعادة اعتبارات في نظام السياسة وتحديثه ليظل النظام العالمي والوحيد.

- فوكوياما يمزج بين مفكر وسياسي معا فنظريته التاريخية طرحت علي أساس رؤية فكرية لتنبأ بمستقبل العالم والذي يتلخص في سقوط جميع الإيديولوجيات وانتصار الإيديولوجية الغربية، فأطروحته تدعم القوة والنفوذ الأمريكية وإبراز السياسة الأمريكية وتوسيعها علي نطاق العالم.

- تعتبر نظرية نهاية التاريخ ضمن الدراسات ونقاشات التي أرهبت العالم فأثرت بصدي كبير بين مختلف التوجهات، فهي قضية فكرية جريئة ومثيرة جمعت بين التاريخ والفكر السياسي حيث قدمت ثراء في الفكر الفلسفي، ورسمت خطوط المسار السياسي لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والعالم، ولكن رغم كل هذه الأفكار إلا أنها تعرضت لنقد لاذع من قبيل المفكرين والسياسيين بوصفها نظرية خادمة لنظام الليبرالي، وليس نظرية خادمة للإنسانية ففوكوياما دائما يتبع التحولات السياسية للولايات المتحدة الأمريكية ويصوغ عليها نظريته وأفكاره فهذا يؤدى إلي اعتبار انه ينتمي إلي نظام السلطوي "علم السلطة".

- نعتقد أن الرؤية التي قدمها فرانسيس فوكوياما عن طريق الديمقراطية تقترب كثيرا من رؤية الفيلسوف الألماني هيغل، الذي دعا إلي ديمقراطية من خلال التركيز علي الحرية التي من شانها تطوير الممارسة الديمقراطية للوصول إلي الديمقراطية الحقيقية، ولكن فوكوياما ينفرد عن غيره من الفلاسفة بتحدد أيطار يستهدف مشروع حدده ضمن بناءه لنظريته فربط بين تأسيس للمجتمع الديمقراطي.

وتطبيق السياسة التي تجسدت في عمله الفكري خلال إلباسها الزى المزيف والكذب وكم هائل من المتناقضات بين القول والفعل، إضافة إلي ذلك فان الديمقراطية التي دافع عليها فرانسيس فوكوياما كرست

مفهوم العبودية أكثر من قبل فإجماع العالم بأسره علي أن الديمقراطية ساهم في ترسيخ روح الأنانية وإتباع المصالح علي حساب الإنسانية، وهذا ما تأكده كل من وقائع وأحداث اليوم من حروب وصراعات وانتهاك لقدسية الإنسان تحت شعار نشر الديمقراطية والعولمة ونشر تفكير سياسي واقتصادي راقي ينهض بدول التي لا تتبنى الديمقراطية، لكن العكس من ذلك فان الديمقراطية اليوم هي نفسها الديكتاتورية لكن بمفهوم أبشع اخترق جميع الأنظمة التي اعتبرت سابقا أنظمة تعسفية ومستبدة فما يحدث في كل من سوريا، العراق، بورما تحت وطأة الديمقراطية التي اعتبرها فوكوياما نهاية التاريخ وأفضل النظم على الوجود، وإذا سلمنا بذلك فإننا سنصل إلي فكرة نهاية التاريخ ليس بمفهوم فوكويامي بل بمفهوم يضع العالم تحت محك نهاية الحياة الإنسانية ودمار العالم بسبب الديمقراطية نفسها، فبدل ما يؤسس هذا النظام إلي وحدة العالم والي نظام عالمي جديد سيدفع إلي نهاية العالم بدل نهاية التاريخ.

وفيما يخص النقطة الأساسية التي دافع عنها ولا يزال يدافع عنها فوكوياما لاحظت أنها هي المصدر الرئيسي للعديد من الممارسات السياسية باعتبارها تتعلق بالمبدأ نفسه في أيامنا وبمثابة معالم تسري نحو هدف واحد ومحدد "السادة" و"العبيد".

وهذا ما يدفعنا للقول أن نظرية نهاية التاريخ تعتبر برنامج سياسي أكثر منه نظرية فكرية في فلسفة التاريخ.

أما في الأخير ما يكتب في هذه الدراسة لا يشكل الرؤية النظرية الكاملة ونهائية للقضايا التي تطرحها نهاية التاريخ والنظام الديمقراطي بل أنها محاولة للوقوف عند منطق ونوع من التفكير نقرا علي ضوء معطيات الجديدة لنظرية وتأثرها علي العالم.

الملحق

بطاقة تعريف

الاسم: فرانسيس فوكوياما

مواليد: **28/10/1952** بشيكاغو لأبوين يابانيين مهاجرين

- حصل على درجة البكالوريوس في الآداب من جامعة كورنيل
- حصل علي درجة الدكتوراه في الفلسفة السياسية من جامعة هارفارد
- شغل منصب عضو قسم العلوم السياسية بمؤسسة راند **Rand Corporation** اكبر المؤسسات البحثية العالمية في الفترة من (**1979 1980**) ثم من **1989-82** ثم من **1996-90**
- اختير عضو في مجلس إعداد السياسات في عهد إدارة الرئيس الأمريكي رونالد ريجان بعامي **81- 82** بصفته عضوا نظاميا متخصصا في شؤون الشرق الأوسط
- اختيرا عضوا في مجلس إعداد السياسات في عهد إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عام **1989** بصفته نائب مدير الشؤون العسكرية والسياسية الأوروبية، وفي عام **82-81** كان عضوا في المفوضية الأمريكية التي شاركت في المباحث المصرية الإسرائيلية حول الاستقلال الفلسطيني.
- أستاذ السياسة العامة بمعهد السياسة العامة بجامعة جورج ماسون، ومدير برنامج المعهد للتجارة الدولية والسياسات المرتبطة بها.
- عضو الجمعية الأمريكية لتطوير الدراسات السلافية.
- عضو مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية.
- تزوج من الأمريكية لاورا هولمجرين وله منها ثلاثة أبناء .
- نشر كتاب الدكتور فوكوياما نهاية التاريخ والرجل الأخير في مطبعة قري عام **1992**، وقد ظهر في أكثر من عشرين إصدارا مختلفا وكان في قائمة أكثر الكتب مبيعا كما اكتسب شهرة عالمية واسعة، أما كتبة الأخرى فهي الثقة الفضائل الاجتماعية وتحقيق الازدهار **1990** والانشقاق الكبير الطبيعة البشرية وإعادة بناء النظام الاجتماعي **1999** ومستقبلنا بعد الحياة البشرية نتائج الثورة البيوتكنولوجية **2002** .

- كتب الدكتور فوكوياما الكثير حول القضايا المتعلقة بالمسائل الخاصة بإدخال الديمقراطية والاقتصاد السياسي الدولي، وقد ركز جهوده في السنوات الأخيرة على دور الثقافة والرأسمال الاجتماعي في الحياة الاقتصادية الحديثة وعلى النتائج الاجتماعية للتحول إلى الاقتصاد معلوماتي، وكان قد كتب في الماضي بتوسع حول السياسة السوفييتية الخارجية في العالم الثالث.

- الدكتور فوكوياما عضو فى مجلس للرئيس في الولايات المتحدة للأخلاقيات الحيوية **Bioethics**، وهو عضو في المجالس الاستشارية للمنح الوطنية من اجل الديمقراطية والمصلحة الديمقراطية ومجلة الديمقراطية ومؤسسة أمريكا الجديدة، كما انه عضو في جمعية العلوم السياسية الامريكية ومجلس العلاقات الخارجية والمجلس الباسيفيكي للسياسة الدولية وشبكة جلوبال بزنس.

قائمة
المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

❖ **المصادر:**

1. فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تقديم مطاع صفدي، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون **1993**، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.

2. فرانسيس فوكوياما: نهاية التاريخ وخاتم البر، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط**1**، **1993**، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

3. فرانسيس فوكوياما: الثقة الفضائل الاجتماعية ودورها في خلق الرخاء الاقتصادي، ترجمة معين الإمام ط1، منتدى العلاقات العربية والدولية، **2015**.

4. فرانسيس فوكوياما: أمريكا على مفترق الطرق، ترجمة محمد محمود التوبة، ط**1**، مكتبة الكعيبان، **2007**.

5. فرانسيس فوكوياما: بناء الدولة النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة مجاب الإمام، ط**1**، دار النشر العبيكان للنشر، **2007**.

6. فرانسيس فوكوياما: مستقبلنا بعد البشري عواقب ثورة التقنية الحيوية، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد ط**1**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، **2006**.

7. فرانسيس فوكوياما: نهاية الإنسان عواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة أحمد مستجير، ط**1**، إصدارات سطور، **2002**.

❖ **المراجع:**

8. ابن خلدون: المقدمة، (د.ط)، **2002**، دار الفكر، بيروت.

9. أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، **1985**.

10. أرسطو: السياسات نقل الأدب أوغسطين **1957**، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت.

11. أرنولد توينبي: الإسلام والغرب والمستقبل ترجمة نبيل صبحي الدار العربية بيروت **1969**.

12. ألبرت أشثفتسر: فلسفة الحضارة، ترجمة عبد الرحمن بداوي، مراجعة زكي نجيب محمود، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، **1963**.

13. أميل برييه: اتجاهات الفلسفة المعاصرة، ترجمة محمود قاسم، دار النشر والطباعة والنشر، المكتبة العامةجامعة الإسكندرية، **1998**.

14. أمين أمين زكي: قصّة الفلسفة اليونانية، ط**2**، القاهرة، مطبعة دار الكتاب المصرية، **1935**.

15. أمين شبلي: من الحرب الباردة إلى البحث عن نظام دولي جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة **2005**.

16. أندرو هيود: مدخل إلى الإيديولوجيات السياسية، ترجمة محمد صفار، **2012**، ط**1**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

17. برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنطي، **2002**، المصرية العامة للكتاب**1977.**

18. جاك دريدا: أطياف ماركس، ترجمة منذر عياشي، ط**2**، مركز الإنماء الحضاري، حلب، **2006.**

19. جون نيتشه خميون: مفكر أساسا معاصر من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة فاتن البستاني، مراجعة محمد بدوي، ط**1**، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

20. حسين حنفي: في الفكر الغربي المعاصر، ط**4**، بيروت، الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، **1990.**

21. حسين مؤنس: الحضارة- دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة- سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

22. حسين مؤنس: فلسفة التاريخ، عالم الفكر، العدد الأوّل، المجلد الخامس، **1984.**

23. الدراجي زروخي: نحو فلسفة التاريخ، ط**1**، دار صبحي للطباعة والنشر، **2013.**

24. ديفيد هوكس: الإيديولوجيا، ترجمة إبراهيم فتحي، المجلس الأعلى للثقافة، **2000.**

25. رأفت الشيخ: تفسير مسار التاريخ، (د.ط)، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، **2000.**

26. روجي غارودي: الولايات المتحدة الأمريكية طليعة الانحطاط، ترجمة صباح الجهيم، ط**2**، دار عطية للنشر، لبنان، بيروت، **1999.**

27. صامويل هنتجتون: صدام الحضارات إعادة منع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب تقديم صلاح قنصوه ط**2**، السطور، **1999.**

28. عبد الحميد صديقي: تفسير التاريخ، ترجمة كاظم الجوادي، ط**1**، الكويت، دار القلم، **1980.**

29. عبد الخالق عبد الله: العالم والمعاصر والصراعات الدولية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

30. عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، **ج2، اط1**، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، **1984.**

31. عبد الرحمن بدوي: خلافة الفكر الأوربي سلسلة الفلسفة نيتشه، **ط5**، الناشر وكالة الكويت، **1975.**

32. عبد الرضا حسين الطعات: موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ط**1**، **2015.**

33. عبد العزيز قاسم: نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي، حوار فوكوياما بمرآة المثقفين العرب، ط**1**، الناشر العبيكان للنشر، **2008.**

34. عبد الله العروي: مفهوم الحرية، ط**5**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، **1993.**

35. علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية، (كشف لما هو كائن والخوف فيما ينبغي للعيش معا)، ط**1** منشورات الصفصاف، **2015.**

36. علي عبود المحمداوي: الفلسفة السياسية، ط**1**، دار الأمان، الرباط، **2015.**

37. علي عبود المحمداوي: فلسفة التاريخ جدل البداية والنهاية العود الدائمة، ط**1**، ابن النديم للنشر والتوزيع **2012.**

38. غرس هالسل: يد الله، ترجمة محمد السماك، ط**2**، دار الشروق، **2002.**

39. فريد بن سليمان: مدخل إلى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، **2000.**

40. فريدريك نيتشه: هكذا تكلم زرادشت، ترجمة فليكس فارس، (د.ط)، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية **1937.**

41. كارل بوبر: بحثا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، **1999.**

42. كارل بوبر: بؤس الإيديولوجيا، ترجمة عبد الحميد صيره، ط**1**، دار الساقي للطبعة العربية، بيروت، لبنان **1992.**

43. لوي ألتوسير مونتسكو: السياسة والتاريخ، ترجمة نادر ذكرى، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، **2006.**

44. علي عبود المحمداوي: البوتيقا والمهمة الفلسفية أخلاق البابولوجيا ورهانات التقنية، تقديم حسن المعدق الرؤية العربية الأكاديمية للفلسفة، دار الأمان، الرباط.

45. محمد الحبو: الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان أرسطو نموذجا، ط**1**، دار دمشق، **1993.**

46. محمد محمد قاسم: مدخل إلى الفلسفة، **ط1**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، **2001.**

47. مصطفى النشار: الحضارة جدل الأنا والآخر نحو بناء حضارة إنسانية واحدة، ط**2**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، **2015.**

48. مهلا هنتنغتون، مهلا فوكوياما، إعداد: العالمي للاستشارات الإستراتيجية، ط**2**، **2004.**

49. ناظم عبد الواحد الجاسور: المرجعية الفكرية للخطاب السياسي الاستراتيجي الأمريكي ما بعد الحادي عشر من سبتمبر **2001**، بيروت، دار النهضة العربية، **2006.**

50. نعوم تشومسكي: طموحات أمبريالية أجرى المقابلات ديفيد برساميان، ترجمة عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

51. هادي قيسي: السياسة الخارجية الأمريكية بين الواقعية الجديدة، **ط1**، بيروت، الدار العربية للعلوم **2008.**

52. هربرت ماركيوز: العقل والثورة، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، (د.ط)، الهيئة المعربة العامة للتأليف والنشر **1970.**

53. هرنسو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي سلسلة المعارف العامة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، **1927.**

54. هيغل: محاضرات في فلسفة التاريخ- العقل في التاريخ، ترجمة عبد الفتاح إمام، ج**2**، لبنان، ط**2.**

55. ولتر ترس ستيس: فلسفة هيغل، مشيل متباس، هيغل والديمقراطية، ترجمة إمام عبد الفتاح إمـــام، المجلـــد الثاني، مكتبة مدبولي، **1996**.

56. ويل ديورانت: قصة الفلسفة، ترجمة زكي نجيب محمود، تقديم محي الدين جابر، ج**1**، مـــج**1**، القـــاهرة **1965**.

57. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ط**5**، دار المعارف.

❖ **الموسوعات المعاجم:**

58. ابن منظور: لسان العرب، بدون مجلد **3**، دار صادر، بيروت.

59. إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، **1983**.

60. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج**1**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، **1982**.

61. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج**2**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، **1982**.

❖ **المجلات:**

62. ألكسندر كوجايف: جدلية السيد والعبد من المدخل إلى قراءة هيغل، ترجمة وفاء شعبان، مجلـــة الفكـــر العربي المعاصر، العدد **114**، مركز الانتماء القومي، الكويت.

63. عبد الرحمن بدوي: أحدث النظريات في فلسفة التاريخ، من مجلة عالم الفكر، العدد الأوّل، المجلد الخامس **1984**.

64. قناة الجزيرة الفضائية برنامج من واشنطن **2005/01/06** لقاء مع الكاتب فرانسيس فوكوياما رؤية حول السياسة الخارجية الأمريكية.

65. نعمان عبد الرزاق السامرائي: نهاية التاريخ من هيغل إلى فوكوياما، مجلة الفيصل، العدد **243**، السعودية **1969**.

❖ **المواقع الالكترونية:**

66. *The end of history and the last man , NewYork free press his page was last nodified on 23 february 2017.*
https://en.wikipedia.org/wiki/The_End_of_History_and_the_Last_Man

تم بحمد الله